د. أمينة أحمد حسن

آراء هامة لطلاب الثانوية العامة

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية





[٤٩٨]

آراء هامة
لطلاب الثانوية العامة

د. أمينة أحمد حسن

آراء هامة لطلاب الثانوية العامة

الطبعة الثانية



دار المعارف

تصميم الغلاف : منال بدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

مقدمــة

إن طلاب المرحلة الثانوية فى حاجة إلى توجيه وإرشاد، فهذه المرحلة قد تكون مرحلة نهائية لبعض التلاميذ، وقد تكون مرحلة مؤدية إلى التعليم الجامعى للبعض الآخر، وفى هذين الحالين يحتاج كل طالب إلى نصائح سديدة توجهه فى حياته التعليمية أو حياته العملية، وخاصة أن الدراسات التى يتعلمها فى المدرسة تؤدى إلى كسب المعارف فقط.

وفى الحقيقة أن معيار التربية الحقة الناجحة ليست فى كمية المعرفة التى يحصلها الطالب فى المدرسة، بل فى مبلغ ما اكتسبه فى المدرسة من جديد للمعرفة وشغفه بالاطلاع وقدرته على التفكير العلمى السليم ورغبته الدائمة فى التعليم. فالمدرسة التى تخرج شبابًا

يميلون إلى المعرفة ولهم بعض الدراية بكيفية اكتسابها والانتفاع بها، مدرسة تؤدى رسالتها حق الأداء، ومن دواعى الأسف أننا نرى عددًا كبيرًا من الطلاب يغادرون المدرسة وقد قتلت فيهم الرغبة فى التعلم، ولو أن بعضهم من الطلاب النجباء يتعلمون بسرعة ويتذكرون ما تعلموه ويجدون سرورًا أو غبطة فى استخدام عقولهم، غير أنهم لا يفهمون ما تعلموه ولا يستطيعون أن يفهموا، ولكنهم لديهم القدرة على استرجاع ما حفظوه واستذكار الحقائق المتصلة بما درسوه. وهذا لا يتحقق إلا مع أقلية ضئيلة ذات عقل نير وذاكرة قوية الحفظ. وسواء كان الطلاب من الفئة التى ترغب فى التعلم أو الفئة التى لا ترغب، فإنهم جميعا يأملون الحصول على شهادة الثانوية العامة، بل يأملون الظفر بالالتحاق بالكليات الجامعية، ومثل هؤلاء الطلاب الذين ليس لهم من المواهب العقلية إلا موهبة الحفظ عن ظهر قلب مع أن قوى خيالهم قد تكون نامية نموًا كاملا فإنهم لا يدركون ولا يستطيعون أن يدركوا إدراكًا كاملا أهمية التعليم وقيمته، كما أنهم لا يتعرفون على الطريقة المثلى فى الاستذكار والحفظ، مما يدعو الكثيرين إلى الفشل فى الدراسة، فيشكلون عبئا على الدولة من جراء الفاقد الذى تتحمله وزارة التربية والتعليم من جهة، والفاقد الذى يتحمله أولياء الأمور من جهة أخرى، كما أن الطالب الذى يفشل فى الثانوية العامة يكون كالشخص الذى وقف فى منتصف الطريق لا يستطيع الحراك يمينًا أو شمالاً فلا هو يعد من

أنصاف المتعلمين ولا يعد من الجاهلين، وقد يتجمد مستقبله فى الحياة العملية. فيصبح عضوًا غير منتج فى المجتمع ولا يعد مواطنًا صالحًا بين أبناء الوطن، ونظرًا لهذا الموقف الحرج لكل من الفرد والمجتمع فإن أهم ما يحتاج إليه الطالب فى مرحلة تعليمه الثانوية هو تقديم التوجيه والإرشاد له، ليتعرف على أهمية التعليم من جهة، ويتعرف على الطريقة المثلى التى تعاونه على استذكار دروسه من جهة ثانية، وكيفية اختيار الكلية التى يرغب استكمال دراسته بها من جهة ثالثة. وأهمية التعرف على ميوله واستعداداته الأكاديمية أو العملية من جهة رابعة.

ولاشك أن توجيه الشباب وإرشادهم هو عمل إنسانى وقومى وتربوى لابد أن تبادر الدولة به حرصًا على مستقبل شباب الأمة ووعيًا منها بكيفية الاستفادة من طاقات الشباب وجهدهم فى هذه المرحلة، بوضع كل منهم فى العمل أو الكلية التى تناسب قدراته واستعداداته.

وقد أوصانا الرسول عليه الصلاة والسلام بالشباب خيرًا فى قوله :

« أوصيكم بالشبان خيرًا فإنهم أرق أفئدة، إن الله بعثنى بشيرًا ونذيرًا فحالفنى الشبان وخالفنى الشيوخ.. ».

المؤلف

د. أمينة أحمد حسن

أهمية التوجيه

يحتاج الطلاب في المرحلة الثانوية كحاجتهم في أى فترة من فترات حياتهم إلى المساعدة التربوية والفنية التى يقدمها لهم الكبار أو التربويين أو المتخصصين فى التوجيه التربوى والمهنى، سواء كانت هذه المساعدة فى ميدان الدراسة أو فى ميدان العمل، وخاصة أننا نعيش فى عصر اتسم بالتغير السريع والتقدم الهائل فى مجالات العلم والثقافة والإعلام الثقافى والحضارى الذى نما عن طريق التكنولوجيا الحديثة ووسائلها من أجهزة التليفزيون والراديو والصحافة والسياحة وغيرها، مما جعل الأبناء يحصلون على معارف شتى قد تكون متناقضة أو فوق مستوى عمرهم العقلى أو مخالفة للعادات والتقاليد التى سادت المجتمع عدة قرون وتعوّدها الآباء. ولذا يشعر الأبناء بصعوبة التفاهم

مع الآباء وأصبحوا ينظرون إليهم على أنهم تقليديين أو متأخرين ويفرضون على أبنائهم طريقة التفكير والمعيشة التى تعودوها فى عصر أجدادهم. وهذا الخلاف الفكرى فى القيم والاتجاهات وطريقة الحياة بين الآباء والأبناء يتطلب من التربويين التدخل لحسم الموقف وتقريب المسافة بين عقول الآباء وزمان الأبناء بهدف بناء جيل صالح. حتى لا يحدث ما نخشاه من عقوق الأبناء وحسرة الآباء أو تنازل الآباء ضعفًا أو اضطرارًا عن دورهم التربوى والتوجيهى لأبنائهم حرصًا على استمرار العلاقة الأبوية أو خوفًا من انهيار الرابطة الأسرية. وكلا الأمرين مر.

ولما كان التوجيه التربوى يشمل نواحى متعددة فى حياة الطالب وشخصيته، فإن أهم ما يحتاج إليه فى مرحلة الثانوية العامة هو مساعدته على تحقيق مطالب هذه المرحلة من حيث اختيار نوع الدراسة الملائمة له، والتغلب على الصعوبات التى تعترضه فى دراسته واستذكاره وفى الحياة المدرسية بوجه عام وما يتصل بالنجاح فيها، ومن حيث توفير المجال الذى يؤدى إلى نموه وتحقيق التوافق النفسى والانفعالى والاجتماعى، أى التوفيق بين طالب المرحلة الثانوية بما له من خصائص شخصية مميزة من ناحية، وبين الفرص المختلفة والمطالب المتباينة من ناحية أخرى.

ويعتقد البعض أن التوجيه التربوى للطالب يتم من خلال عملية التدريس فى المدرسة ويمكن تحقيقه عن طريق المواد المختلفة من المقرر

الدراسى، ولذا وجب أن نشير هنا إلى أن التوجيه التربوى يختلف عن التدريس الجيد. فالتوجيه عبارة عن مساعدة الطالب على حل مشكلاته وإرشاده إلى أفضل الطرق والوسائل والآداب التى تحقق له السعادة والتوافق، وتوعيته بالحرص والحذر من الوقوع فى المكاره حتى لا يضطره الأمر إلى الاحتيال عليها للخروج منها.

ولما كانت المشكلات الدراسية والمهنية والشخصية تأتى فى قمة المشكلات من حيث أهميتها بالنسبة لطلاب المرحلة الثانوية فإننا نهدف من هذا الكتاب تقديم عدة توجيهات تحقق للطالب ما يلى:

١ - مساعدة الطالب فى تحديد نواحى النقص ونوعية المشكلات التى تعوق تقدمه فى دراسته والعمل على تلافيها وإصلاحها.

٢ - مساعدة الطالب على التكيف للجو المدرسى والأسرى حتى يستطيع أن يعبئ جميع قواه وإمكانياته الشخصية نحو النجاح فى الدراسة.

٣ - مساعدة الطالب على اختيار التخصصات أو الكليات (بعد التخرج من المدرسة) التى تتلاءم مع قدراته واستعداداته.

٤ - مساعدة الطالب على معرفة قيمة العلم وأهمية التعليم فى حياته المستقبلية.

٥ - مساعدة الطالب على أن يقيّم استعداداته العقلية وميوله المهنية والدراسية وقدرته على التحصيل الدراسى وسماته الشخصية المتعلقة بالدراسة والعمل.

أهمية العلم والتعلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وعن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إن العلم يزيد الشريف شرفًا ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك».

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعلمه فيمن يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو منار سبيل أهل الجنة، والآنس فى الوحدة، والصاحب فى الغربة، والدليل فى الظلمة، والمحدث فى الخلوة، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم فى

الخير قادة، وفى الهدى أئمة يقتدى بهم، وترمق أعمالهم، وترغب الملائكة فى إخائهم فبأجنحتها تمسحهم، وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوام الأرض وسباع الرمل ونجوم السماء».

وعن عبد الله بن عمر قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الفقه خير من كثير من العبادة، وكفى بالمرء فقهًا إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا عجب برأيه».

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه:

ألا لا تنال العلم إلا بستة	سأنبئك عن مجموعها ببيان:
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة	وإرشاد أستاذ وطول زمان

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

«تفقهوا قبل أن تسودوا» أى تعلموا العلم ما دمتم صغارًا قبل أن تصيروا سادة أو رؤساء منظورًا إليكم، فإن لم تتعلموا قبل ذلك استحييتم أن تتعلموا فى الكبر فتبقوا جهالاً تأخذون العلم من الأصاغر فيزدرى بكم.

وقال على بن أبى طالب: «العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال.. إن العقل دليل الخير، والعلم مصباح العقل وهو جلاء القلب من هدى الجهل، وهو أقنع جليس، وأفضل صاحب وقرين، وأذكى عقدة وأربح تجارة، يزيد فى شرف

الشريف ورفعة الرفيع وقدر الوضيع، وآنس فى الوحشة وآمن عند الشدة».

وقال أبو الحسن البصرى الماوردى:

إن العلم والعقل سعادة وإقبال وإن قل معهما المال وضاقت معهما الحال، والجهل والحمق حرمان وإدبار وإن كثر معهما المال واتسعت معهما الحال، لأن السعادة ليست بكثرة المال، فكم من مكثر شقى ومقل سعيد، وكيف يكون الجاهل الغنى سعيدًا والجهل يضعه، أم كيف يكون العالم الفقير شقيًا والعلم يرفعه؟».

وسئل بزرجمهر: «ما أعجب الأشياء؟ قال: نجح الجاهل وفقر العاقل، لكن الرزق بالحظ والجد لا بالعلم والعقل، حكمة من الله تعالى يدل بها على قدرته وإجراء الأمور على مشيئته».

وقد قال الحكماء: «لو جرت الأرزاق على قدر العقول لم تعش البهائم».

وقال أحد العلماء: «إذا أراد الله بالناس خيرًا جعل العلم فى ملوكهم والملك فى علمائهم. حيث أن العلم عصمة الملوك، ويمنعهم من الظلم، ويردهم إلى الحلم، ويصدهم عن الأذية، ويعطفهم على الرعية. فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويستنبطوا أهله».

ويقال: «إن سقراط نظر إلى رجل يحب التأمل والنظر فى الفلسفة ولكنه يستحى لكبر سنه. فقال له: يا هذا تستحى أن تصير فى آخر عمرك أفضل مما كنت فى أوله؟».

شرف العلم وفضله :

وقد خص الله ابن آدم بالعلم دون غيره من المخلوقات لأن جميع الخصال يشترك فيها الإنسان مع الحيوان وغيره عدا العلم، وبالعلم فضل الله تعالى آدم على الملائكة وأمرهم بالسجود له.

قال محمد بن الحسن بن عبد الله :

تعلم فإن العلم زين لأهله
وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدًا كل يوم زيادة
من العلم واسبح فى بحور الفوائد
هو العلم الهادى إلى سفن الهدى
هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فإن فقيها واحدًا متورعًا
أشد على الشيطان من ألف عابد

وروى عن ابن عباس أنه قال :

« إن الشياطين قالوا لإبليس : يا سيدنا ما لنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد، والعالم لا تصيب منه [illegible] قال إبليس : انطلقوا إلى عابد، فانطلقوا، فقال له إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة ؟

فقال العابد : لا أدرى.

فقال إبليس : أترونه كفر فى ساعة.

ثم جاء إلى عالم فى حلقته..

فقال له إبليس : إنا نريد أن نسألك.. هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة ؟

قال العالم : نعم.

قال إبليس : وكيف ؟

قال العالم : يقول له «كن فيكون».

فقال إبليس للشياطين : أترون ذلك العابد لا يعدو نفسه، وهذا العالم يفسد علىّ عالمًا كثيرًا.

وقال محمد بن الحسن رحمه الله :

لو كان الناس كلهم عبيدى لأعتقتهم، وتبرأت عن ولائهم وذلك لأن من وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس».

بهذا نرى أن العلم أشرف ما يرغب فيه الإنسان وأنفع ما يطلبه الطالب، لأن شرفه يسمو بصاحبه، وفضله يزيد عند طالبه.

قال مصعب بن الزبير لابنه :

«تعلم العلم فإن كان لك مال كان لك جمالاً. وإن لم يكن لك مال كان لك مالاً..».

وقيل لبزرجمهر :

« العلم أفضل أم المال؟ قال : العلم. قيل : فما بالنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء؟ فقال : ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال وجهل الأغنياء بفضل العلم».

وقال أفلاطون : «محب الشرف هو الذى يتعب نفسه بالنظر فى العلم، وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل لأن فضل العلم لا يعرف إلا بالعلم والجاهل لا يعرف قيمة العلم ويسترذل أهله لأن من جهل شيئًا عاداه».

وقيل فى منثور الحكم : «كم من ذليل أعزه علمه ومن عزيز أذله جهله».

وقال عبد الله بن المعتز : «نعمة الجاهل كروضة على مذبلة».

وقال بعض الحكماء : «كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحًا..»

وقد يظن الجاهل الرزوق أن الفقر والضيق مختصان بالعلم والعقل دون الجهل والحمق. ولو بحثنا فى أحوال العقلاء والمتعلمين مع قلتهم لوجدنا الرزق ميسورًا فى أكثرهم ولو اختبرنا أمور الجهال والحمق مع كثرتهم لوجدنا الحرمان فى أكثرهم وإن كان بعضهم محظوظًا مشهورًا وذى أموال مكنوزة، فإن ذلك يثير العجب ويكون غناهم مستغرب، كما أن حرمان العاقل المتعلم وقلة ماله يجعل الناس على مر الدهور من حاله متعجبين وبه مقيدين.

حتى قيل :

كل عز لا يوطده علـم مذلة، وكل علم لا يؤيده عقل مضلة.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه:

« أغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا للعلم ولا تكن الخامس فتهلك ».

إن فضل العلم لا يقدر بمال وليس للعلم نهاية.

وقيل: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

والعلم لا يختص به بعض الناس دون غيرهم، ولن يكون العلم لازمًا لإعداد أصحاب الوظائف المكتبية أو الأعمال النظرية والفكرية فحسب، بل العلم مفروضًا على كل فرد، العامل والموظف والغنى والحرفى والمهندس والرئيس والحاكم. يأخذ كل منهم من العلم ما يلزمه فى أمور دينه ودنياه وما يعينه على تطوير مهنته وتهذيب خلقه وتنمية عقله وتغذية روحه وتقوية جسمه وتأدية دوره فى الحياة بما يعود عليه وعلى المجتمع بالنفع والخير.

روى عن على بن أبى طالب أنه أمر تاجرًا بالعلم قبل التجارة فقال: « إنه جاءه رجل قال له يا أمير المؤمنين أريد أن أتجر فقال له: العلم قبل التجارة، إنه من يتجر قبل أن يتعلم ارتطم فى الربا ثم ارتطم».

وعن مالك بن أنس قال: « إن العلم لحسن، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى، ومن حين تمسى إلى حين تصبح، فالزمه ولا تؤثر عليه شيئًا».

والحرص على طلب العلم يحقق للطالب كثيرًا من الفضائل..

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: «يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة: رأسه التواضع، عينه البراءة من الحسد، أذنه الفهم، لسانه الصدق، حفظه الفحص، قلبه حسن النية، عقله معرفة الأشياء والأمور الواجبة، يده الرحمة، رجله زيارة العلماء، همته السلامة، حكمته الورع، مستقره النجاة، قائده العافية، مركبه الوفاء، سلاحه لين الكلمة، سيفه الرضا، فرسه المداراة، جيشه محاورة العلماء، ماله الأدب، ذخيرته اجتناب الذنوب، زاده المعرفة، ماؤه الموادعة، دليله الهدى، رفيقه صحبة الأخيار».

الآداب التى يتحلى بها طالب العلم

١ - احترام المعلم والتودد إليه :

يجب على الطالب أن يتودد إلى معلمه ويقترب منه ويغتنم الفرص لإظهار ما يكنه له من الحب والإعظام.

قال الشافعى : لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح.

وقال أبو الحسن البصرى الماوردى : « اعلم أن للمتعلم فى زمان تعلمه تملقًا وتذللاً، إن استعملهما غنم، وإن تركهما حرم، لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه، والتذلل له سبب لإدامة صبره، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار ».

وقد روى معاذ بن جبل الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا فى طلب العلم »

وقال بعض حكماء الفرس :

« إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب، قعدت وأنت كبير حيث لا تحب ».

وقال أحد الشعراء :

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه واقنع بجهلك إن جفوت معلما

وقيل :

من علمنى حرفاً صرت له عبدًا.

وقال على بن أبى طالب :

«من حق المعلم ألاّ تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشى له سرًّا، ولا تغتاب عنده أحدًا وأن تجلس أمامه. وإذا جئته خصصته بالتحية وسلمت على القوم عامة وأن تحفظ سره ومغيبه حفظ الله أمرًا ».

وقد كان المتعلمون قديمًا يجلون المعلمين وينزلونهم أسمى المنازل ويرون لأولى العلم درجة دونها درجات الملوك وحملة التيجان.

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :

« لا يقام لأحد إلا لذى علم أو لذى سن أو لذى سلطان ».

وعن الشعبي قال : « ذهب زيد بن ثابت وكان عالمًا فى الفرائض فى عهد الرسول « ليركب ووضع رجليه فى الركاب فأمسك ابن عباس بالركاب فقال زيد: تنح يا ابن عم رسول الله، قال ابن عباس : لا . . هكذا نفعل بالعلماء والكبراء ».

وقيل : إنه لما وقعت الفتنة بالبصرة فى عصر بنى أمية عام ١٠١ هـ، ورضى الناس بالحسن البصرى أن يكون حكمًا، اجتمعوا عليه وبعثوا إليه، فلما أقبل قاموا جميعًا إجلالاً له. فقال يزيد ابن المهلب : كاد العلماء يكونون أربابًا ! أمَا ترون هذا المولى كيف قام له سادات العرب ».

ولاشك أنه إذا قام بناء التربية على غير هذا الأساس وهو إعظام المتعلم للمعلم واحترامه له والحب والتقدير المتبادل بينهما كان التعليم عقيمًا لا يؤتى ثمرًا، ولا يجنى الناس منه خيرًا.

وهذا ما حدا بالفيلسوف الفرنسى ديدْروا إلى الانقطاع عن تعليم أحد أبناء الأمراء، فلما سئل فى ذلك قال : ماذا تريدون أن أعلمه وهو لا يحبنى ».

٢ - حسن الاستماع والإنصات :

قال تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾. صدق الله العظيم.

فإن حسن الاستماع والإنصات يجمع للمتعلم خصلتين : السلامة فى دينه وعلمه، والفهم من صاحبه أو معلمه، وعلى المتعلم ألا يعجل بالكلام ويكون نطقه بعلم، وإنصاته بحلم، ولا يهاجم بسؤال، ولا يعجل بجواب. وبهذا أدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى :

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. وقل رَبِّ زدنى علمًا﴾.

قال ابن العلاء :

« أول العلم الصمت، والثانى حسن السؤال، والثالث حسن الاستماع، والرابع حسن الحفظ، والخامس نشره عند أهله ».

وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة الاستماع والإصغاء والصمت والطاعة مع الصبر لكل طالب علم فى قصة موسى عليه السلام عندما رحل فى طلب العلم إلى شاطئ البحر تاركًا قومه، وكان قاصدًا عبدًا من عباد الله قيل إنه أكثر علمًا من موسى، فلما رأى هذا العالم استأذنه فى أن يصاحبه ليتعلم منه، غير أن هذا العالم اشترط عليه أن يكون مصغيًا صابرًا لكى يتعلم فلا يسأل عن شىء قبل أن يقضى خبره، ولا يعجل بمعرفة شىء قبل أن ينتهى أمره، حيث يقول تعالى فى كتابه الكريم : (.... إنك لن تستطيع معى صبرًا) وكان هذا العالم مشفقًا على موسى عليه السلام، وأراد أن يبرر له أن عدم

استطاعته الصبر إنما يرجع إلى عدم معرفته وعلمه بهذه الأشياء التى يريد أن يتعلمها، فقال فى قوله تعالى : (وكيف تصبر على مالم تُحِط به خُبْرًا) . . فقال موسى : (ستجدنى إن شاء الله صابرًا ولا أعصى لك أمرًا) . قال العالم : (فإن اتبَعْتَنى فلا تسألنى عن شىء حتى أُحدِث لك منه ذكرًا) .

(سورة الكهف. الآيات من ٦٠-٨٢)

ومعنى هذا أنه طلب من موسى عليه السلام الصمت والإصغاء التام، فلا يسأل ولا يتكلم إلا إذا أذِن له المعلم بعد الانتهاء من الشرح والتفسير، وعرض الموضوع المراد تعلمه.

٣ - حسن السؤال :

إن حسن السؤال وتحديد الكلام إنما يدل على حسن المعرفة.

روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حسن السؤال نصف العلم ».

« فقد أمر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام صحابته وتلاميذه بالسؤال وحث عليه الصلاة والسلام فى طلب العلم بينما نهى آخرين منهم عن السؤال، وزجر عنه إذا كان يقصد منه الإعنات وإحراج المعلم.

قال عليه الصلاة والسلام :

« إياكم وكثرة السؤال فإنما هلك من قبلكم بكثرة السؤال ».

وقيل لابن عباس تلميذ الرسول وابن عمه وهو أكثر الصحابة علمًا وحديثًا :

« بم نلت هذا العلم؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول ».

وإذا تعمد الطالب أن يكثر فى أسئلته ليظهر للمعلم الاستكفاء منه والاستغناء عنه فإن فى ذلك استخفافًا بقدر المعلم، وإهدارًا لكرامته، وسلبًا لحقه. وإذا وجد بعض الطلاب قوة فى نفسه لحدة ذكائه وسرعة خاطره وقصد معلمه بالإعنات له والاعتراض عليه فيكون كمن تقدم به المثل القائل لأبى البطحاء :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

مشكلات الفهم والحفظ والنسيان ووسائل علاجها

يقال فى الأمثال : «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان».

وقد قيل فى منثور الحكم :

« المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علمًا، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء».

وكل كلام فى العلم يحمل ألفاظًا ومعانى، والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب والصبر، فينبغى على الطالب ألا يترك ما استصعب عليه فهمه وتعذر عليه حفظه، فالعلم طلبه صعب على من يجهله.

قال أحد الحكماء :

« العلوم مطلعها من ثلاثة أوجه : قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور. فإذا عقل الطالب الكلام بسمعه، فهم معانيه بقلبه،

وإذا فهم المعانى، سقط عنه كلفة استخراجها وبقى عليه معاناة حفظها واستقرائها فى قلبه، لأن المعانى شوارد تضل بالإغفال، والعلوم الغير المستأنسة تنفر بالإطلاق والإرسال، فإذا حفظها الطالب بعد الفهم انست، وإذا ذكرها بعد الأنس ثبتت».

وقال بعض العلماء :

«من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم».

وقال الشاعر :

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه
ولم يستفد علمًا نسى ما تعلما

فكم جامع للكتب من كل مذهب
يزيد مع الأيام فى جمعه عمى

وإذا تعسرت الأمور ولم يفهم الطالب درسه ولم يستطع حل مسائله بعد كل ما بذل من محاولات للفهم، وإذا استصعب عليه الحفظ فلابد أن يرجئ هذا الدرس الصعب حتى يستوضحه من أستاذه أو معلمه، وعليه أن يبدأ درسًا آخر حتى لا يضيع وقته فيما لا يفهمه.

أنشد المبرد عن سليمان الغنوى قائلاً :

لا خير فى علم بغير تدبر   فسل الفقيه تكن فقيهًا مثله . .
وعليك بالأمر الذى لم يعسر   وإذا تعثرت الأمور فأرجها .

أولا : مشكلات الفهم :

١ - قد يكون السبب المانع لفهم الطالب هو وجود غموض في المعنى :

فقد يكون الموضوع الذى يدرسه أحد أقسام ثلاثة :

(أ) إما أن يكون مستقلاً بنفسه.

(ب) وإما أن يكون الموضوع مقدمة لما سيأتى بعد.

(جـ) وإما أن يكون نتيجة لموضوع ودراسات سابقة.

أما القسم الأول : وهو الموضوع المستقل بنفسه فهو نوعان : موضوع واضح جلى فهو يصل إلى فهم قارئه لأول وهلة وهذا لا يمثل مشكلة للطالب، وموضوع غامض يحتاج فى إدراكه إلى زيادة تأمل واستقراء مع الصبر والمعاناة لينكشف الغامض فى معناه، وباستعمال الفكر فيه يسهل ما استصعب منه.

والقسم الثانى : هو الموضوع الذى يكون مقدمة لدرس لاحق، وقد تكون المقدمة مستقلة قائمة بنفسها وإن تعدت إلى غيرها فتكون كالموضوع المستقل بنفسه فى تصوره وفهمه إن كان مستدعيًا لنتيجة. أما إذا كان الموضوع مفتقرًا إلى نتيجة، فيتعذر فهم المقدمة إلا إذا درس الطالب النتيجة كجزء لاحق للمقدمة، والجزء لا يغنى عن الكل حتى يتم فهم الموضوع.

القسم الثالث : إذا كان موضوع الدرس نتيجة لمقدمة فالموضوع لا يفهم إلا إذا استعاد الطالب تذكر المقدمة وربط بينها وبين النتيجة وإلا فلا يمكن تصور الموضوع أو تفهمه أو استذكاره.

٢ - قد يكون السبب المانع للفهم وجود علة فى الطالب :

قد يكون مستوى ذكاء الطالب متوسط أو أقل من المتوسط وهـذا ليس عيبًا وإنما العيب كل العيب أن ييأس الفرد من تنمية ذكائه، فالبلادة وقلـة الفطنة هى علة تحتاج فى معالجتها إلى الصبر والإرادة وقوة العـزيمة والمثـابرة والمشقة والإكثار من الاستذكار والمداومة على الدرس.

قال على بن أبى طالب :

لا تعجزن ولا تـدخلك مضـجرة   فالنجح يهلك بين العجز والضجر

وقال أحد الحكماء :

« إذا فقد المتعلم الذهن قـل عـن الأضـداد احتجـاجه، وكثر إلى الكتـب احتياجه، وليس لمن بلى بـه إلا الصـبر والإقـلال، لأنـه على القليل أقدر، وبالصبر أحرى أن ينال ويظفر.

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا تنالون ما تحبـون إلا بـالصبر عما تـكرهون، ولا تبلغـون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون ».

٣ - قد يكون السبب المانع للفهم وجود عيوب فى الكتابة والطباعة :

إن إسقاط بعض الألفاظ من بين الكلمات تجعـل بـاقى الجملـة مبتورًا ومعناها غامضًا، وهذا قد يكون إما لسهو المؤلف أو لعدم دقة

عمال المطبعة، وهذا الكلام المبتور أو الحروف الناقصة قد يسهل على الطالب الذكى إدراكها واستنتاجها ولاسيما إذا كانت قليلة لأن الكلمة تستدعى ما يليها، ومعرفة المعنى تتضح من بين السطور، أما إذا كان ذكاء الطالب أقل من المتوسط فإنه يصعب عليه استنباط المعنى من بين الكلمات الناقصة ولاسيما إذا كان ما سقط سهوًا من بين الكلمات أو الحروف كثير، فإن ذلك يحتاج إلى التفكر والروية فى فهم المعانى، فإذا عجز الطالب عن إدراكها وضل فكره فى استنباطها فإن ذلك يمنعه من فهمها.

٤ - هناك أسباب أخرى كثيرة تمنع من الفهم :

ولا مجال هنا لذكرها بالتفصيل ولكن يكفى الإشارة إليها. فلاشك أن عدم التركيز وتشتيت الذهن والقلق الذى يصيب الطالب إما لكثرة المثيرات من حوله أثناء المذاكرة أو الضوضاء الناجمة عن أصوات أجهزة الراديو أو التليفزيون، أو الخلافات والشجار بين أفراد الأسرة أو بين الأب والأم أو انشغال القلب أو النفس ببعض الأمور الدنيوية أو كثرة عدد الأخوات مع عدم وجود المكان الهادئ الذى يعين على الحفظ والاستذكار أو سوء التغذية. مثل هذه الأمور تجعل فهم ما يقرأ بطيئًا ومقدار ما يحفظ قليلاً وقد يصعب استعادته أو استرجاعه لعدم التركيز وقت الحفظ.

كشف الأسباب المانعة عن الفهم :

ينبغى على الطالب أن يكشف عن الأسباب المانعة من فهم المعنى والمعوقة للحفظ ليسهل عليه معرفة نفسه فيدبر أموره وقت

تعلمه على أن يعطى لجسمه وقتًا للراحة ولقلبه استراحة ولأن يعرف أن للنفس قدرة وطاقة فلا يتركها دون قيادة، فإن للنفس نفور يؤدى إلى التقصير، ووفور يؤدى إلى الإسراف فى الاجتهاد وخير الأمور الاعتدال لأن المسرف مثل المقصر فى الخروج عن الحد. فإذا وجد الطالب من نفسه نفورًا ومعاناة فى الحفظ لأن نفسه مجهدة وعقله مرْهق وقلبه يكره الاستزادة فيترك المذاكرة فترة للراحة ثم يعاودها بعد الاستراحة.

قال ابن مسعود :

« للقلوب شهوة وإقبال، وفتور وإدبار، فأتوها من قبل شهوتها ولا تأتوها من قبل فترتها ».

ثانيا : مشكلات الحفظ:

١ - عدم الحفظ بعد فهم المعنى مباشرة :

إن التقصير فى مداومة المذاكرة، والتوانى والإهمال فى حفظ الدروس بعد قراءتها وفهمها، وإرجاء الحفظ إلى وقت قريب من الامتحان - يؤدى ذلك إلى النسيان، فينبغى لمن بلى بالنسيان أو الإهمال أن يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ويوقظ غفلته بدوام استذكار العلوم بعد فهمها وتصورها فقد قيل : « لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه »، وكثرة الدرس ومداومة الاستذكار لا يصبر عليه إلا من يرى العلم مغنمًا والجهل مغرمًا.

أما إذا استثقل الطالب الحفظ وأخّر عمل اليوم إلى الغد واتّكل على فهمه للدرس واعتقد أنه بعد فهمه يستطيع الرجوع إلى الكتب وحفظها عند الحاجة (الامتحان) فيكون موقفه هذا مثل موقف الصياد الذى أطلق طيره ثقة منه بقدرته على إرجاعه بعد إطلاقه، فلا يعقب الثقة إلا خجلاً والتفريط إلا ندمًا.

وفى هذه الحالة يصاب الطالب بالضجر من معاناة الحفظ والاستذكار والقلق والخوف من عدم تحقيق الأمل وقت نشاطه، وتأنيب نفسه لضيق الوقت وفساد الرأى وإرهاق الذاكرة.

ولابد أن يعرف الطالب أن الشخص الضجور خائب، وطويل الأمل مغرور، وأن فاسد الرأى مصاب، ومن أمثال العرب:

«حرف فى قلبك خير من ألف فى الكتب»

وأنشد الخليل بن أحمد قائلاً:

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما وعاه الصدر

وقال أيضًا:

«اجعل ما فى الدفتر رأس مالك، وما فى قلبك التفقه».

ولاشك أن حفظ العلوم فى القلب أفيد كثيرًا من خزنها فى الذاكرة، لأن الذاكرة معرضة بمرور الوقت وطول الزمان إلى الضعف والهوان، وقد يكون سلطان النسيان أقوى من سلطان الذاكرة عند الطالب فيضيع وقته هباء فى الحفظ لأنه ينطق العلم بقراءته باللسان

دون أن يمس قلبه فلا ينفعل به ولا يتأثر بمعانيه. غير أن العلم فى القلب أفيد للطالب من ناحيتين :

الأولى أنه لا ينسى بمرور الوقت. وثانيها أن الإنسان ينتفع بالعلم إذا مس قلبه فيؤثر فى سلوكه إلى الأفضل. وهناك قصة طريفة تدل على أهمية حفظ العلوم فى القلب :

عندما سافر الإمام الغزالى إلى بلدة جرجان يطلب العلم على كثير من علمائها وهو صغير، كان يكتب تعليقات أستاذه فى الفقه والفوائد العلمية التى استفادها منه فى كراريس سماها « التعليقة »، وقد كان يريد الاكتفاء بالكتابة دون الحفظ أو أنه أرجأ الحفظ حتى يعود إلى وطنه مسقط رأسه فيبدأ فى حفظ ما تعلمه، غير أن هذا لقنه درسًا قاسيًا. إذ قُطع عليه الطريق وهو فى طريق عودته إلى وطنه. وأخذ قطاع الطريق كل ما كان معه بما فيها المخلاة (الحقيبة) التى يحفظ بها كراريسه. وقد حكى الإمام الغزالى هذه الحادثة فقال :

« فتبعتهم فالتفت إلى كبيرهم وقال : ويحك ارجع أو هلكت فقلت : بالذى ترجو السلامة منه أن ترد علىّ تعليقتى (أى كراريسى) فقط فما هما بشىء تنتفعون به. فقال لى وما هى تعليقتك ؟ قلت : كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها، فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم. ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلىّ المخلاة.

قال الغزالى : فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى به أمرى (أى لقنه الله درسًا ليتعلم منه أمرًا). فلما وافيت طوس (مسقط رأسه) أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمى»[1].

٢ - الحفظ عن ظهر قلب دون تصور ولا فهم :

ربما اهتم الطالب بالحفظ من غير فهم فيصبح حافظًا لألفاظ جوفاء دون إدراك معناها ثم يقوم بتلاوتها أو تسميعها من غير أن يتصورها أو يتخيل ما تعنيه الألفاظ ولا يفهم ما تتضمنه فيروى ما حفظه بغير روية ويخبر عن غير خبر، فهو بذلك كالكتاب الذى لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

«همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الرعاية».

٣ - الحفظ فى الذاكرة دون استخدام القلم والورق :

ربما يعتمد الطالب على تسجيل ما حفظه من معلومات فى ذاكرته دون تقييدها فى كراسة أو استخدام القلم والورقة للتدريب على كتابتها، ثقة منه بأن المعلومات استقرت فى ذهنه، وهذا خطأ منه لأن الشك معترض والنسيان طارئ.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى حـ ١ ص ١٩٥.

وقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له :

« استعمل يدك. أى اكتب حتى ترجع إذا نسيت إلى ما كتبت ».

وقال أحد البلغاء : « إن هذه الآداب نوافر، تند (أى تشرد وتنفر) عن عقل الأذهان، فاجعلوا الكتب عنها حماة، والأقلام لها رعاة ». فإذا كان حفظ العلوم بالعقل فإن تدعيم هذا الحفظ يكون بالكتابة والخط.

ويقول العرب : « الخط أحد اللسانين وحسنه أحد الفصاحتين ».

وقال حكيم الروم : « الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية ».

وقد يكون الحفظ دون فهم له سببان :

١ - إما أن يكون الدافع للحفظ ليس له علاقة بحب العلم وإدراك قيمته لذاته وإنما الدافع مادى وهو الحصول على شهادة من أجل الحصول على عمل مناسب أو مركز اجتماعى مرموق، وبذلك يكون الهدف هو غير العلم وهو النجاح فقط فى الامتحان بالدرجة التى يأمل فيها الطالب أو أهله، فيجهد الطالب نفسه ،بكون الحفظ دون فهم هو كل همه لأن العلوم لا تتفق مع ميوله ويكون الحفظ باستخدام العقل وحده لأن القلب لا يستجيب لفهم ما يكرهه،

فلا يقدر الطالب على مكابرة نفسه على الفهم وغلبة قلبه على التصور، لأن القلب مع الإكراه أشد نفورًا وأبعد قبولاً، ولكل قلب علوم تستهويه فيأخذ منها ما يهديه، أما الضغط عليه بعلوم لا تتفق مع اهتماماته ولا تشبع رغباته أو أن تكون أكثر من طاقته على الحفظ فلا يستجيب القلب مطيعًا إذا وجد بينه وبين العلم سدًا منيعًا. ولا يكون أمام الطالب إلا أن يحفظ عن ظهر قلب دون تصور أو فهم حتى يكرم فى الامتحان ويحمى نفسه من أن يهان.

وقال أحد الحكماء:

« إن لهذه القلوب تنافرًا كتنافر الوحوش، فتألفوها بالاقتصاد فى التعليم والتوسط فى التقديم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها ».

٢ - وإما أن يكون الدافع للحفظ عن ظهر قلب هو غموض المعنى فيمنع الطالب من تصور ما تهدف إليه الجمل والألفاظ ويدفعه عن إدراك حقيقتها فيحفظ دون فهم خوفًا من الامتحان ولكن هذا خطأ، إذ يجب على الطالب أن يزيل ذلك الهم عن نفسه بالسؤال عما يصعب عليه فهمه أو يغمض عليه فى معناه ليصل إلى تصور المعنى وإدراك حقيقته.

وقال الشاعر: « بشار بن برد »:

شفاء العمى طول السؤال وإنما ... دوام العمى طول السكوت على الجهل

فكن سائلاً عما عناك فإنما ... دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

المقومات التى يتحقق بها الفهم والحفظ:

١ - العقل السليم الذى يدرك به حقائق الأمور فيسهل عليه فهم الدروس.

٢ - الفطنة والذكاء الذى يعينه على تحدى غوامض العلوم وحل المسائل التى تتطلب التفكير.

٣ - قوة الذاكرة التى يستقر بها حفظ ما تصنوره، وفهم ما تعلمه.

٤ - الرغبة والنية الخالصة التى يدوم بها الطلب على العلم ولا يسرع إليها الملل.

٥ - الجد والاجتهاد وبذل الجهد والاهتمام بتحصيل ما تعلمه.

٦ - الوقت الكافى مع التفرغ للتحصيل والاستذكار.

٧ - عدم الانشغال بشىء من أمور الدنيا أو همومها فالعلم أجل من أن يُشغل عنه بغيره.

٨ - الظفر بمعلم كفء متمكن من مادته متأن فى تعليمه يقظ ضميره، متحلٍ بآداب العلم من استعمال الصبر والحلم والتواضع والرفق بالمتعلمين.

٩ - التقرب إلى الله باتباع تعاليم الدين وحسن الخلق.

إذا توفرت هذه المقومات التسعة فى طالب العلم فإنه دون شك يكون من المتفوقين ويتحقق نجاحه فى التعليم ويكون مستقبله بين القادة والمسئولين.

أوقات الحفظ وأماكن الاستذكار:

أولا: أوقات الحفظ:

إن للحفظ والمذاكرة ساعات وأوقات، وأجود أوقات الحفظ هو وقت الفجر حتى طلوع الشمس، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، ثم بعدها وقت الغروب دون العشى.

والحفظ فى الليل أفضل من الحفظ فى النهار، ومن أسهر نفسه بالليل فرح قلبه بالنهار، لأن ما بين العشاء ووقت السحر (الفجر) وقت مبارك.

قال الشاعر:

بقدر الكد تكتسب المعالى ومن طلب العلا سهر الليالى

وقال آخر:

يا طالب العلم باشر الورعا وجنب النوم واترك الشبعا
داوم على الدرس لا تفارقه فالعلم بالدرس قام وارتفعا

قيل لأحد العلماء:

«بم أدركت العلم؟ قال: بالمصباح والجلوس إلى الصباح».

وقيل لآخر:

«بم أدركت العلم؟ قال: «بالسفر والسهر والبكر فى السحر».

وسأل شاب جاهل أفلاطون :

«كيف قدرت على كثرة ما تعلمت؟. قال : «لأننى أفنيت من الزيت (زيت المصباح) أكثر مما شربت أنت من الشراب».

وقال رجل إلى أفلاطون :

«ألم نكن جميعًا فى مدرسة واحدة؟. قال : نعم، قال : فكيف صرت تعلو منبر التعليم وحظك من العلم ما نراه؟ قال : ذلك لأن دينارى كان محمولاً إلى الزيات، ودينارك كان محمولاً إلى الخمار».

وينبغى على طالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته فإذا ملّ من علم يشتغل بعلم آخر. فكان ابن عباس رضى الله عنه إذا مل «علم الكلام» يقول : «هاتوا ديوان الشعراء».

وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل ويضع بجانبه الدفاتر وكان إذا ملّ من نوع ينظر فى نوع آخر.

ثانيا : أماكن الاستذكار :

إن أجود أماكن الحفظ والاستذكار هى الأماكن التى تبعد عن كل ما ينهى النفس، ويخلو القلب فيها مما يفزعه أو يشغله أو يجلب له الخوف فيمنعه من التركيز، وليس من المرغوب أن يذاكر الطالب فى الحدائق العامة أو على شواطئ الأنهار أو على قارعة الطريق فإن هذه الأماكن غالبًا ما تمتلئ بالمثيرات التى تجذب انتباه الطالب بالملاحظة والتأمل أو تشتت فكره فتلهى عقله وتشغله عن التحصيل.

ويجب أن يكون المكان الذى يستذكر فيه الطالب دروسه متجدد الهواء بعيدًا عن الضوضاء وأن يكون الضوء غير خافت وغير شديد حتى لا يتلف الأعصاب أو يؤدى إلى الخمول. فالضوء الضعيف يبعث على النوم ويؤذى العين والضوء الشديد يتلف النظر ويدفع النفس إلى الضجر.

مقدار ما يحفظه الطالب:

ينبغى على طالب العلم أن يحدد لنفسه القدر الذى يستطيع قراءته وحفظه، فلا يقرأ يومًا ثم يؤخر الحفظ إلى يوم آخر، فإن ذلك يؤدى إلى نسيان ما فهمه فى اليوم السابق، وإذا حفظ الطالب القدر الذى حدده فلابد أن يقف وقفة للراحة حتى يستقر ماحصله فى قلبه ويثبت ماحفظه فى عقله، فتقوى بذلك ذاكرته ويسهل عليه استعادة ما حفظه، وإذا وجد ذهنه مازال نشطًا ونفسه ترغب فى الاستزادة عاد إلى الاستذكار، أما إذا شعر بأنه متعبًا كان عليه أن يكتفى بما حفظ ويُعد قدرًا آخر من الدروس إلى اليوم التالى، وبذلك يأخذ من العلم قليلاً قليلاً فى كل مرة بما يتفق وطاقته. أما إذا رغبت نفسه فى تحصيل قدر أكثر من العلم وليس لديه الاقتدار كان ذلك بمثابة رجل يشتهى الطعام بعدما شبع فإذا أكل أكثر أضر بذلك معدته. لأن كثرة الحفظ بغير استراحة ترهق العقل وتجهد النفس فيبغض الإنسان العلم.

قال تعالى :

﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة. كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴾.

صدق الله العظيم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ».

وقال مصعب بن الزبير :

« سمعت مالك بن أنس يقول لابنَيْ أخته : أراكما تحبان هذا العلم وتطلبانه، قالا : نعم، قال : إن أحببتما أن تنتفعا به وينفع الله بكما، فأقلا منه وتفقها ».

وعن قسامة بن زهير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « روحوا القلوب تعى الذكر ».

وإذا أتم الطالب حفظ درسه، عليه أن يستعرض ما حفظه ويستعيده كلما مضت عليه مدة حتى يثبت فى قلبه فيصعب نسيانه، ومداومة التفكير فيما استذكره هى الطريق الأمثل لاستنارة الفكر.

قال الشيخ الإمام حامد بن إبراهيم بن إسماعيل الصفار :

أخدم العلم خدمة المستفيد ... وأدم درسه بعقل حميد
وإذا ما حفظت شيئًا أعده ... ثم أكده غاية التأكيد
ثم علقه كى تعود إليه ... وإلى درسه على التأبيد
وإذا ما أمنت منه فواتًا ... فانتدب بعده لشىء جديد
مع تكرار ما تقدم منه ... اعتناء بشأن هذا المزيد

وجدير بالذكر أن قدرة الطالب على الاستذكار والحفظ ترتبط بشرطين أساسيين هما :

(أ) الرغبة فى الاستذكار وطلب العلم والتحصيل.

(ب) الطريقة التى يتبعها الطالب فى الاستذكار والحفظ.

فينبغى على من سار فى طريق العلم أن يكون راغبًا فيه، ولمن رغب فيه أن يكون له طالبًا، ولمن طلبه يكون منه مستكثرًا، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملاً ولا يطلب لتركه احتجاجاً ولا للتقصير فيه عذرًا.

واعلم أيها الطالب أن لكل رغبة دافع فلتكن رغبتك فى العلم رهبة : رهبة من الجهل، ورهبة من الله، فالرهبة من الجهل توصل إلى المعرفة، والرهبة من الله تؤدى إلى الفضيلة. ومن عرف الفضيلة فقد عرف طريقه إلى الله.

وإن اجتمعت الرغبة والرهبة أدتا إلى كنه العلم وحقيقة الزهد. فأصل العلم الرغبة وثمرته السعادة، وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة.

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من ازداد فى العلم رشدًا، ولم يزدد فى الدنيا زهدًا، لم يزدد من الله إلا بعدًا ».

أما الطريقة التى يتبعها الطالب كأحد العوامل المساعدة على الحفظ والاستذكار فهى ليست واحدة، بل يمكنه أن يتخير من بين عدة طرق ما يناسبه واتباع أفضلها وأسرعها على الاحتفاظ بالعلم.

ومن بين هذه الطرائق ما يلى:

(أ) طريقة الاستذكار المتواصل والاستذكار الموزع:

وكما يتضح من اسم هذه الطريقة إما أن يتخلل فترات الاستذكار فترة يستريح فيها الطالب ولتكن كل ساعة خمس دقائق لتجديد النشاط الذهنى والجسمى، وهذه الطريقة أفضل وأسرع.. أى طريقة الاستذكار الموزع.

وإما أن يتبع الطالب طريقة الاستذكار المتواصل، وفيها يظل الطالب ساعات طويلة يستذكر دروسه دون توقف ودون فاصل بين علم وآخر أو بين درس وآخر حتى ينتهى من كل دروسه. وهذه الطريقة إما أن تؤدى إلى تعب الطالب وإرهاقه ذهنيًّا وجسميًّا وإما إلى الملل ونقص الرغبة فى التحصيل.

(ب) الطريقة الجزئية والطريقة الكلية فى الاستذكار:

تعتمد الطريقة الكلية على تناول موضوع الدرس كوحدة يقرأ كله مرة واحدة رغم تعدد فقراته وربما يقرأ مرة ثانية حتى يتمكن الطالب من دراسة الفكرة ككل من وراء الموضوع ثم تحفظ كلها بعد ذلك.

أما الطريقة الجزئية فهى تعتمد على طريقة تجزئة موضوع الـدرس إلى فقرات وتدرس كل فقرة على حدة رغم أن كلا منها تمثل فـكرة غير كاملة وتحفظ بنفس الطريقة.

وقد دلت التجارب أن الطريقة الكلية أفضل من الطريقة الجزئية لأنها تعتمد على عامل الفهم والمعنى.

(ج) استخدام عملية الترابط:

لاشك أن استخدام الطالب لطريقة الربط بين الأفكار الجديدة فى موضوع درسه والأفكار فى الدروس السـابقة أو الـربط بـين الموضـوع الواحد فى علوم متعددة كموضوع المياه مثـلاً فى الـطبيعة وتـوزيع الماء واليابس فى الجغرافيا وتحليـل الماء فى الـكيمياء.. وهـكذا فـإن ذلك يسهل عملية الاستذكار والحفظ، كما أن ربط مواقف الحاضر بمـواقف الماضى فى موضوعات الدراسة يسـهل كذلك عمليـة الحفـظ ويسـاعد عليها كثيرًا. وكذلك إذا ربط الطالب بين الـكلمات أو المقـاطع الـتى يسمعها لأول مرة وخاصة فى اللغات الأجنبيـة بينهـا وبـين الألفــاظ أو أشياء مألوفة له أو ذات معنى خاص فى خبرته اليـومية فـإن ذلك يساعد على حفظها وعدم نسيانها.

وإذا استخدم الـطالب الـطريقة الأولى أو الثـانية أو الثـالثة فى الحفظ والاستذكار فلابد أن يتبع الخطوات التالية :

١ - أن يبدأ أولا بقراءة الموضوع أو الفقرة المراد تعلمها قراءة فاحصة.

٢ - أن يحدد الكلمات الغامضة أو غير المفهومة ليستفسر عنها فيتضح معناها.

٣ - تقرأ الفقرة أو الموضوع مرة ثانية لتحديد الأفكار التى بها.

٤ - يكتب الطالب هذه الأفكار أو ملخص لها بخط يده على هامش صفحة الكتاب بجانب الفقرة أو يكتبها فى كراسة خاصة بعملية الاستذكار والتطبيقات أو كراسة لحل الأسئلة.

٥ - تحفظ الفقرة أو موضوع الدرس عن ظهر قلب بعد أن تم فهم معناها.

٦ - يكرر الطالب ما حفظه ثلاث مرات حتى يتأكد من الحفظ الجيد للدرس.

٧ - يضع الطالب لنفسه عددًا من الأسئلة تدور حول الدرس إن لم يكن فى نهاية كل فصل بالكتاب أسئلة وتطبيقات على الدرس، ثم يجيب عن هذه الأسئلة ليختبر درجة فهمه وحفظه. وهكذا فى كل درس.

وإذا اتبع الطالب هذه الخطوات يكون مطمئنا إلى قدرته على تذكر المادة الدراسية أو موضوع الدرس وفقراته كلها طلب منه ذلك. وبالأخص إذا عمل الطالب على ضرورة استعادة ما حفظه واسترجاعه كل مدة ولتكن فى نهاية الأسبوع حيث يخصص يومًا محددًا فى الأسبوع للمراجعة واسترجاع ما حفظه.

توجيهات عامة تحقق نجاح الطالب

أولا: بذل الجهد والبعد عن الكسل:

لابد لطالب العلم من همة عالية فإن المرء يعلو بهمته كالطير يعلو بجناحيه..

قال أبو الطيب:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتى على قدر الكرام المكارم

فمن كانت همته فى تحصيل العلم عالية فإنه يستوعب الكثير من العلم ويحفظه فى يسر دون إحساس بالتعب ويثبت فى قلبه فلا ينساه.

ولا يكفى أن يكون هناك همة واهتمام دون أن يصاحبها بذل وجهد واجتهاد والبعد عن التوانى والكسل..

قال المصنف :

دعى نفسى التكاسل والتوانى ... وإلا فاثبتى فى ذا الهوان
فلم أر للكسالى الحظ يعطى ... سوى ندم وحرمان الأمان

والهمة والاهتمام وبذل الجهد فى حاجة إلى الجد والمواظبة والملازمة فإذا اقترنت الهمة بالمواظبة تزداد قدرة الطالب على استيعاب ما يتعلمه ويسهل حفظ كل ما يتفهمه.

قال تعالى :

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾.

وقوله تعالى :

﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾.

وقد قيل :

«من طلب شيئًا وجدّ وجد ومن قرع الباب ولجّ ولج»

وقيل :

«بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى».

وأنشد الشيخ الشيرازى رحمه الله :

الجد يدنى كل أمر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق

ثانيًا : الاعتدال فى الطعام :

إذا رغب الطالب فى الاستذكار فلا يملأ بطنه بالطعام ولا يبدأ بالحفظ إذا كان جوعانًا، بل لابد أن يتوسط فلا يصل بالأكل إلى

حالة الشبع ولا يصبر على الجوع إلى حالة الألم، ولو أن أوقات الجوع أفضل للقراءة والفهم من أوقات الشبع إلا أن شدة الجوع تعوق الفهم والحفظ. فإذا شعر الطالب بالجوع وقت الاستذكار فليطفئ جوعه بالشيء اليسير من الطعام كالفاكهة والزبادى والعسل أو الخضروات الطازجة (السلطة الخضراء) وبعد الانتهاء من المذاكرة أو قبل البدء فيها بساعتين يأكل الوجبة الدسمة التى يصلب بها عوده ويشعل ذكاؤه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلثًا لطعامه وثلثًا لشرابه وثلثًا لنفسه ».

ووعظ أعرابى أخًا له فقال :

يا أخى : « إنك طالب ومطلوب.. فإياك والبطنة فإنها تعمى عن الفطنة ».

وقال عمر بن هبيرة لملك الروم :

« بم تعدون الأحمق فيكم ؟

قال الذى يملأ بطنه من كل شيء يجد ».

قال المصنف رحمه الله :

أقلل طعامك كى تحظى به سهرا إن شئت يا صاحبى أن تبلغ الكملا

ثالثًا : تهيئة النفس للاستذكار :

لا يبدأ الطالب بالمذاكرة إلا إذا كانت نفسه مهيأة للاستذكار، فلا يكن متعبًا فيغلب عليه النوم بعد قليل، ولا يكن مغمومًا فيصعب عليه فهم ما يقول، ولا يكن مشغول البال أو مفعم القلب بالفرح أو الحزن فلا يقبل عقله ما قرأته عيناه، حتى لو ردد الدرس وكرّره، وإن فهمه قد لا يثبت فى قلبه فيسهل نسيانه، ولا يكون جوعانًا فتضعف طاقته على استيعاب ما قرأ، وإن أرغم نفسه على المذاكرة تحت أى حال من هذه الأحوال كان ذلك مؤديًا إلى الملل ويضيع الوقت والجهد دون تحقيق أمل.

ولم تكن تهيئة البيئة والجو المحيط بالطالب أقل أهمية من التهيئة النفسية، فقد يكون الطالب مهيأ نفسيًّا للمذاكرة ولكن البيئة من حوله لا تحقق له ذلك، إذ أن المنزل الذى تكثر فيه الضوضاء يشتت انتباه الطالب ويقلل من تركيزه فى الدرس، كما أن الشجار بين أفراد الأسرة يؤذى الطالب انفعاليًّا ويحزن قلبه ويفقده الاستقرار والأمان فينشغل فكره وتقل عزيمته، وقد يتحول عقله إلى التفكير فى طريق آخر غير العلم ليتخلص من مشاكله.

رابعًا : البعد عن الأمور التى تعوق الحفظ:

لابد لطالب العلم أن يتوكل على الله فى طلب العلم فلا يهتم بالمال ولا يشغل قلبه بالكسب، فإن من انشغل قلبه بأمر الرزق وزيادة الدخل قلّما يتفرغ لتحصيل العلم.

قال رجل لمنصور الحلاج :

« أوصني، فقال، هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك ».

فينبغي على كل طالب أن يشغل نفسه بالعلم حتى لا تنشغل النفس بسواه، كما ينبغي ألا يهتم الطالب بأمر من أمور الدنيا، لأن في ذلك مجلبة للهم والحزن، والطالب يسوء مزاجه ويحزن قلبه وقد يدفع ذلك نفسه إلى الحسد والحقد فيضر غيره دون أن ينفع نفسه. فيجب على طالب العلم ألا يترك نفسه فريسة للأوهام والأحزان والهموم لأن هم الدنيا يمنع عنه الخير، بينما الانشغال بالصلاة وقراءة القرآن يهدئ النفس ويطمئن القلوب.

قال تعالى :

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾.

والانشغال بالعلم ينفي الهم والحزن.

قال الشيخ الإمام نصر بن الحسن المرغيناني رحمه الله :

اعتنى نصر بن حسن بكل علم يختزن
ذاك الذي ينفي الحزن وغيره لا يؤتمن

ومن الحرص والحذر أن لا يشغل الطالب قلبه بغير العلم، فلكل وقت أذان ووقت العلم لا يتسع لغيره. فيجب على طالب العلم ألا يشغل قلبه وفكره بالحُب والأحلام والأوهام ولا يكثر مجالسة النساء لأنها مضيعة للوقت ومعطلة للاستذكار ومضرة للحفظ والتذكر.

قال الشيخ الإمام نجم الدين عمر بن محمد النسفى :

سبتنى وأصبتنى فتاة مليحة تحيرت الأوهام فى كنه وصفها
فقلت ذرينى واعذرينى فإننى شغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولى فى طلاب العلم والفضل والتقى غنى عن غناء الغانيات وعرفها

وقال المأمون رحمه الله :

أول العشق مزاح وولع ثم يزداد إذا زاد الطمع
كل من يهوى وإن عالت به رتبة الملك لمن يهوى تبع

وعلى طالب العلم ألا ينازع أحدًا ولا يخاصم صديقًا ولا يعاتبه مهما اقترف من سوء فعل ولا يحارب عدوًّا له لأن كل ذلك مضيعة للوقت، ومن الأفضل الصمت والصبر والحلم، فالزمان كفيل بحل المشاكل والمحسن سيجزى بإحسانه والمسىء ستكفيه مساوئه.

وقال يوسف الهمدانى :

ولا تجز إنسانًا على سوء فعله فيكفيه ما فيه وما هو فاعله

وقال الإمام الشيخ برهان الزرنوجى :

إذا شئت أن تلق عدوك راغما وتقتله غمًّا وتحرقه هما
فرم للعلا وازدد من العلم إنه من ازداد علمًا زاد حاسده غما

وانشد الشيخ العميد أبو الفتح البستى رحمه الله :

ذو العقل لا يسلم من جاهل يسومه ظلمًا وإعناتا
فليختر السلم على حربه وليلزم الصمت إن ساطا

خامسًا: العلم لا يتعارض مع كسب العيش:

إذا كان الطالب فقيرًا ويرغب فى العمل بعض الوقت لمعاونة نفسه وأسرته فإن العمل لا يمنع من التعليم، بل إن فى العمل بعض الوقت تجديد للنشاط وإرضاء للذات، فالطالب الذى يعمل ويستذكر دروسه رغبة فى العلم، يشعر بقيمته لغيره ولنفسه، فهو يأخذ من الحياة ليعطى غيره، وما استحق أن يولد من عاش لنفسه. وقد كان فى الأزمنة السابقة كثيرون ممن أصبحوا علماء أو فقهاء حصلوا على العلم وهم يتكسبون بأعمال شريفة أو حرف بسيطة. فهذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله تفقه وتعلم بكثرة المذاكرة فى دكانه حين كان بزازًا (خياطًا) فى بدء حياته وقد كان أبو حفص الكبير رحمه الله يكتسب ويذاكر.

فإن كان لطالب العلم بد من الكسب والعمل الشريف فليكتسب وليذاكر وكل ما يحتاجه فى هذه الحالة تنظيم وقته وسهر الليالى بين العلم والكتب لتتحقق الأمانى.

سادسًا: حسن اختيار الأصدقاء:

لاشك أن أصعب أنواع الحاجة هى حاجة الإنسان إلى صديق، فالإنسان اجتماعى بطبعه، وبغير صديق يشعر بوحشة الوحدة، ومهانة الانفراد. وقد قال أحد الحكماء:

«من لم يرغب فى ثلاث بلى بست: من لم يرغب فى الإخوان بلى بالعداوة والخذلان، ومن لم يرغب فى السلامة بلى بالشدائد والامتهان، ومن لم يرغب فى المعروف بلى بالندامة والخسران».

ولا يخفى علينا أن إخوان الصدق هم أنفس الذخائر بل أشد وأنفع وقت النوائب والمصائب.

قال أحد الحكماء :

« رب صديق أود من شقيق ».

وقيل : « رب أخ لك لم تلده أمك ».

وقد اختلفت مذاهب الناس فى اتخاذ الأصدقاء والإخوان : فمنهم من يرى أن الاستكثار منهم واجب ليكونوا عونًا وتفقدًا وأوفر تحببًا وتوددًا.

سئل أحد الحكماء : ما العيش؟

قال : « إقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الإخوان »، وقال آخر : « حلية المرء كثرة إخوانه ».

ومنهم من يرى أن الإقلال من الأصدقاء أفضل لأنه أخف أثقالا وكلفة، وأقل تنازعًا وخلافًا، وصون للنفس من الحقد والحسد والغيرة.

قال عمرو بن العاص : « من كثر إخوانه كثر غرماؤه »

وقال ابن الرومى :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحاب

وسواء كان رأيك أيها الطالب هذا أو ذاك من الرأيين السابقين فإنك لابد أن تعلم أن الصديق يقارن بصديقه، فينبغى أن تختار

الصديق المجد الورع صاحب الخلق الحميد، وتفر من الزميل المعطل البليد الثرثار المفسد المشغول بغير العلم والفتان.

قال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
فإن كان ذا شر فجانبه سرعة وإن كان ذا خير فقارنه تهتدى

وقال آخر :

لا تصحب الكسلان فى حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع فى الرماد فتخمد

وإذا أردت أيها الطالب الاستذكار مع أحد الزملاء فإياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسربة والأخلاق معدية، والمجاورة مؤثرة.

وإذا جلست مع صديق فلا تكثر من القيل والقال، وإياك والنميمة والغيبة فإن كثرة الكلام تسرق عمرك وتضيع أوقاتك، كما أن ذكر عيوب الناس فى غيبتهم والتعمد فى إظهار نواقصهم أو كشف أسرارهم يفقد ثقة صديقك فيك ويخشى على نفسه منك، فالصمت أفضل من الكلام، والإقلال منه دليل العقل والفطنة.

قال المصنف فى هذا المعنى :

إذا تم عقل المرء قل كلامه وأيقن بحمق المرء إن كان مكثرا

وقال آخر :

النطق زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

اختيار الأصدقاء قبل اصطفائهم:

وإذا عزمت على اختيار صديق فلابد من مدارسة أحواله قبل إخائه، والتعرف على أخلاقه قبل اصطفائه، ولا تجعل خوفك من الوحدة سببًا للإقدام على مصاحبة اللئام ولا يكن حسن الظن بهم يعميك عن حقيقة خلقهم وطباعهم، ولا تنخدع بحلاوة أو طيب الأفعال فإن الملق مصيدة للعقول، والنفاق يغلب الفطنة، ومن يكون من الزملاء طبعه النفاق والتملق فإنه لا يرجى منه خير، ولا ينتظر منه صلاح، ولا يؤمل من ورائه منفعة.

قال أحد الحكماء:

« اعرف صديقك من فعله لا من كلامه، واعرف محبته من عينه لا من لسانه ».

فإذا توددت إلى صديق قبل اختباره ووثقت فيه قبل معاشرته فإن ذلك لا يثمر إلا ندمًا ولا يحقق إلا حزنًا وألما.

قال أحد الحكماء الشعراء:

لا تحمدن امرئً حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب
فحمدك المرء ما لم تبله خطأ وذمه بعد حمد شر تكذيب

وفى النهاية أيها الطالب فإن نجاحك فى دروسك وتفوقك فى علمك هو توفيق من عند الله فلابد من اتقاء الله والحصول على رضائه بتجنب المعاصى. والإحسان إلى الناس والإتقان فى العمل، واغتنام دعاء الوالدين. واتقاء دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب..

البدء باستذكار العلم السهل ثم الصعب:

ينبغى على طالب العلم أن يبدأ فى دروسه وحفظه ومذاكرته بالعلم الذى يراه سهلاً عليه حتى إذا انتهى منه يأخذ غيره، فمثلاً إذا كان يحب مادة العلوم فعليه أن يبدأ بها، وإذا كان يستصعب مادة اللغة الإنجليزية أو اللغة العربية فليؤجلها حتى ينتهى من دروسه وواجباته، لأن المادة التى يصعب عليه فهمها وحفظها سوف تأخذ وقتًا كبيرًا من يومه ثم يشعر بالتعب لما بذله من جهد، وقد يعطل ذلك حفظه لبقية العلوم أو قد يشعر بالملل والضيق لعدم قدرته على فهم المادة التى يراها صعبة فينغلق عقله وتضيق نفسه عن الرغبة فى مواصلة الحفظ، فلا ينجز العلم الصعب ولا السهل.

وإذا قرأ الطالب موضوع درسه ووجده لأول وهلة درسًا صعبًا أو أنه لم يتفهم منه شيئًا فلا ييأس، بل يعاود قراءة الموضوع مرة ثانية ويقسمه إلى فقرات، ويركز اهتمامًا أكبر على الجملة أو الفقرة التى يراها صعبة حتى يستوعبها عقله وتتضح معانيها. وقد يكون

موضوع الدرس مبنيًا على درس قبله فلابد أن يرجع إلى الدرس السابق مع تكرار القراءة والفهم حتى ينكشف له ما يغمض عليه.

ولابد أن يعلم الطالب أنه ليس هناك علم صعب وعلم سهل، بل إن كل العلوم سهلة، غير أن بعضها يتطلب التأنى فى القراءة والتدقيق والتمحيص بصبر وتعقل كما يتطلب التدريب على حل المسائل أو التطبيقات اللازمة على الدرس حتى يفهم جيدا. وبقدر ما تتمنى تنال ما تتمنى. فيجب أن تنزع من عقلك أن هناك شىء صعب المنال. وتكون حكمتك فى الحياة ما قاله نابليون:

«ليس هناك كلمة مستحيل فى القاموس الفرنسى».

عدم الانقطاع عن المدرسة بهدف الاستذكار فى البيت:

من الظاهرة التى تلاحظ على طلاب السنة النهائية من المرحلة الثانوية وغيرهم من طلاب الجامعة أنهم ينقطعون عن المدرسة أيامًا وأسابيع وخاصة قرب الامتحان بهدف الاستذكار والحفظ حتى لا يضيع الوقت فى الذهاب والإياب إلى المدرسة.

وفى تلك الحالة يستقل الطالب بنفسه ويعتمد على عقله فى فهم الدروس وحفظها، وقد يعتمد على الملخصات المتوفرة فى المكتبات ويهمل الكتاب المدرسى أو يلجأ إلى الدروس الخصوصية فى المنزل ويثقل على أهله بأعباء مالية وهم فى حاجة إليها، وقد تسد طلبًا من طلبات الأسرة لو واظب على الحضور فى المدرسة واستمع إلى شرح المعلم.

ويعتقد كل من الطلاب والآباء أن الاستذكار فى المنزل أجدى لأنه يتيح الفرصة للطالب والوقت المتسع لحشو عقله بالعلوم المقررة عليه لكى يحصل على درجات عالية فى امتحان الشهادة الثانوية، والذى يحدث أنه بمجرد الانتهاء من الامتحان لا تتذكر الطالب شيئًا من العلوم التى حفظها وكأنه لم يتعلم.

وقد ينجح الطالب بالفعل فى الامتحان ويحصل على الدرجات العالية التى يرغب فيها هو وأهله ويدخل الكلية التى من وجهة نظر أهله أنها مرموقة كالطب أو الهندسة.

وقد لا يتحقق الحلم فيحصل الطالب على مجموع الدرجات التى تؤهله إلى دخول كلية التجارة أو الزراعة أو العلوم أو الآداب أو التربية حسبما يحكم به مكتب التنسيق، وفى هذه الحالة يحزن الآباء ويتألمون لأن ابنهم - أو ابنتهم - لم يدخل الكلية التى تحقق لهم المركز الاجتماعى المرموق (من وجهة نظرهم). ويفاجأ الطالب بعد الالتحاق بالكلية بالموقف الصعب: إنه لا يفهم شيئًا من العلوم، ولا يستطيع أن يتمشى مع الأستاذ فى الفهم وقراءة الكتب والمراجع المطلوبة منه، ويجد أن الدراسة فى الكلية تختلف تمامًا عن التعليم فى المرحلة الثانوية، فالاعتماد على الفهم فى التعليم الجامعى مطلوب وخصوصًا فى الكليات العملية، فيتعثر الطالب، وقد يمضى سنة أو سنتين فى السنة الأولى دون تحقيق النجاح المطلوب رغم تفوقه فى الثانوية العامة، ويجد أن الكلية التى أهّله مجموعه إليها لا تتناسب

مع قدراته أو استعداداته، فيعود للبحث عن كلية يجد فيها نفسه وتتفق الدراسة فيها مع ميوله وقدراته فيجد صعوبة فى القبول والتحويل وبعد جهود ومحاولات كثيرة قد يحول إلى كلية أخرى نظرية يبدأ فيها من جديد بعد أن فات من عمره ووقته سنة أو سنتين ضاعت هباء نتيجة فشله فى الدراسة فى الكلية التى التحق بها حسب مجموع درجاته وليس حسب قدراته.

وعليك أيها الطالب بعد ذكر هذه الحالة وعرض تلك المشكلة أن تعنى بدرسك فتقوم بتحضيره وفهمه ثم مراجعته مع المعلم فى الفصل، وأن تحرص على تصحيح ما فهمت من درسك تصحيحًا متقنًا مع معلمك، ولا تحفظ من الكتب استقلالاً أو معتمدًا على نفسك أو زملائك دون الرجوع إلى المعلم، لأن العلم الذى يقوم على الحفظ دون شرح أو مجادلة أو تفاعل مع أستاذ أكثر حكمة وعلمًا لا يكون علمًا نافعا، والطالب الذى يعتمد على نفسه فى الحصول على العلم من الكتب فقط لا يفقه شيئًا. فالعلم طالب وأستاذ، ولابد للمتعلم من أستاذ يدرس عليه. ويرجع إليه فى تفسير ما يجده صعبًا أو غامضًا، ويتعرف منه على الطرق التى تناسب الطالب فى الاستذكار.

قيل لأبى حنيفة: فى المسجد حلقة ينظرون فى الفقه. فقال: لهم رأس؟ (أى لهم معلم؟). قالوا: لا، قال: لا يفقه هؤلاء أبدًا.

واعلم أيها الطالب أنه ليس هناك مهنة أفضل من مهنة، ولا كلية أفضل من كلية، فالعلوم كلها نافعة، وليست الكليات المرموقة فى عصرنا هذا كالطب والهندسة تجلب أموالاً أكثر بعد الحصول على الوظيفة، بل إن الإنسان النشط الماهر المتفوق فى عمله هو الذى يجلب الرزق الوفير والمال الكثير بجهده وعمله وخبرته ومهارته فى تخصصه. فكم كثيرين ممن تخرجوا من كليات الطب والهندسة فشلوا فى عملهم واشتغلوا بأعمال أخرى كالتدريس أو التجارة أو الفن أو السياسة، لعدم إتقان تخصصهم الأصلى الذى درسوا فيه، أو لعدم ميلهم للعمل فى هذا التخصص، لأنهم درسوا فيه دون رغبة بل دخلوا هذا المجال بالدرجات العالية التى حصلوا عليها فى الثانوية العامة وقضوا مدة الدراسة الجامعية على مضض يحفظون وينجحون دون فهم أو رغبة ففشلوا فى حياتهم العملية وتساووا بعد التخرج بزملائهم الذين التحقوا بكليات الآداب أو التجارة أو التربية، فاعلم أيها الطالب أن كل الكليات أفضل من بعضها واجعل اختيارك للكلية الجامعية على أساس استعدادك وقدراتك وميولك نحو المهنة التى تحب أن تعمل فيها بعد التخرج ولا يكون اختيارك للكلية على أساس مجموع درجاتك فى الثانوية العامة حتى تحصل على العمل الذى يناسبك والذى تجد نفسك فيه أكثر وتنتج أكثر وينتفع بك المجتمع وتنجح فى حياتك العملية كما نجحت فى الثانوية العامة.

واعلم أن حاجة الناس بعضهم إلى بعض صفة لازمة فى طبائعهم، وحاجة الأدنى إلى الأعلى كحاجة الفقير إلى الغنى وحاجة الأمير إلى الفقير وحاجة المدير إلى الساعى وحاجة السيد إلى خادمه، فما أحوج الملوك إلى السوقة فى ناحية وأحوج السوقة إلى الملوك فى ناحية، فلم يخلق الله تعالى أحدًا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له. فأدنى الناس مسخر لأعلاهم، وأجل الناس ميسر لأصاغرهم، وليس هناك مهنة تجلب الخير والرزق الكثير وأخرى لا تجلب إلا الرزق اليسير، وخاصة أن الدولة قد حددت تسعيرة للشهادات ويتساوى خريجى الكليات فى مرتباتهم، ثم إن الله قسم الأرزاق وجعل الناس درجات بعضهم فوق بعض ليخدم كل منهم الآخر، ولو تساوى جميع الناس فى المركز أو الدرجة العلمية أو الرزق لوقفت الحياة وعجزت البشرية عن تسيير أمورها.

قال تعالى:

﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا ﴾[1].

﴿ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[2] ﴾.

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض[3] ﴾.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٣٧.

(٣) سورة النساء آية ٣٢

﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات . . [1] ﴾ .

﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة . . [2] ﴾ .

﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بعباده خبيرًا بصيرًا [3] ﴾ .

تدل هذه الآيات على أن توزيع الأرزاق ليس بالعلم والعقل والشهادات وإنما بالحظ والجد، حكمة من الله تعالى يدل بها على قدرته وإجراء الأمور على مشيئته، وقد قال أحد الحكماء : « لو جرت الأقسام على قدر العقول، لم تعش البهائم » .

الرحلة فى طلب العلم :

قيل فى الأسفار سبع فوائد، وقيل خمس فوائد، وأول هذه الفوائد اغتنام العلم، وأنت أيها الطالب أسعد حظًا من طلاب العلم فى العصور السالفة، إذ كان طالب العلم يرتحل مئات الكيلومترات ليتعلم حديثًا أو ليتأكد من صحة حديث على يد شيخ أو صحابى جليل . أما طالب اليوم فإن الأستاذ أو المعلم يذهب إليه فى مدرسته ويلازمه طوال العام الدراسى، والمعلم بالمدرسة متفرغ لخدمة طلابه،

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٥ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣٠ .

وهو على استعداد دائم لشرح ما يطلبه منه ولتوضيح ما يستفسر عنه. غير أن الاستزادة من العلم عن طريق الرحلة فى الوقت الحاضر لازال أمرًا ضروريًا رغم توفر المعلمين.

فقديمًا كانت الرحلة فى طلب العلم بحثًا عن أصحاب العلم وأفضل العلماء نظرًا لقلتهم، أما اليوم، فإن العلماء والمعلمين مع كثرتهم فلازلنا نؤكد أهمية الرحلة فى طلب العلم، وتعد الرحلة العلمية فى يومنا هذا وسيلة من الوسائل المعينة على فهم الدرس ومشاهدة ما يستذكره الطالب على الطبيعة إن أمكنه ذلك.

وأنت أيها الطالب إذا كان موضوع درسك يتطلب القيام برحلة ليستزيد فهمك للدرس فلا تتوانى فى ذلك وخاصة إذا كانت الرحلة إلى مكان قريب أو فى إمكانك القيام بها. ولابد أن تقتدى بالسلف فى هذا العمل، وخاصة أن التقدم العلمى والتكنولوجى فى العصر الحديث قد يسر وسائل الانتقال وسهل أسباب الارتحال.

والرحلة فى طلب العلم قد بدأت فى وقت مبكر جدًّا. وقد أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالرحلة فى طلب العلم فى قوله: «اطلبوا العلم ولو فى الصين».

وكان كثير من الصحابة قد رحل بعضهم إلى بعض لأجل المزيد من العلم، فقد رحل أبو أيوب الأنصارى إلى عقبة بن عامر الجهنى لسماع حديث «الستر على المسلم». ورحل عبيد الله بن عدى إلى الإمام على (كرم الله وجهه) فى العراق لكى يأخذ عنه العلم، وقال ابن مسعود:

«لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله منى لرحلت إليه».

وسبق أن ذكرنا أن نبي الله موسى قد ارتحل فى طلب العلم إلى شاطئ البحر تاركًا قومه عندما علم أن هناك عالمًا أكثر منه علمًا هو العالم «الخضر» عليه السلام، كما جاء فى سورة الكهف فى الآيات من ٦٠-٨٢.

وأما التابعون ومن بعدهم فرحلاتهم فى طلب العلم وسماع الحديث أشهر من أن تذكر.

يقول سعيد بن المسيِّب : «إنى كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب حديث واحد».

وذكر الإمام البخارى (رحمه الله) أن الصحابى الجليل جابر ابن عبد الله رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد.

وتشير كتب السابقين إلى أهمية الرحلة فى طلب العلم أو الاستزادة فيه مثل كتب رحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة وغيرهم كثيرين.

يقول الإمام الشافعى :

تغرب عن الأوطان فى طلب العلا وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرّج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

طلب العلم فى الصغر :

اعلم أيها الطالب أن التعليم واكتساب العلم فى مرحلة المدرسة هى فرصة عظيمة لابد أن تغتنمها وتخلص النية فيها. ويكون الجد والمجاهدة فى طلب العلم هو الشغل الشاغل لك قبل أن تفوتك الفرصة ويضيع الشباب.

وقد قيل :

« التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر، وحفظ الرجل بعدما كبر كالكتابة على الماء ».

وقال نعمان الحكيم لابنه :

« يا بنى ابتغ العلم صغيرًا فإن ابتغاء العلم يشق على الكبير، يا بنى إن الموعظة تشق على السفيه كما يشق الوعر الصعود على الشيخ الكبير ».

وقال الشاعر :

إذا أنت أعياك التعلم ناشئا ... فمطلبه شيخًا عليك شديد

قال هشام بن عروة : كان أبى يقول :

« إنا كنا أصاغر قوم ثم نحن اليوم كبار، وإنكم اليوم أصاغر، وستكونون كبارًا، فتعلموا العلم تسودوا به قومكم ويحتاجوا إليكم »

وكان يقال :

« إنما تقبل الطينة الخاتم ما دامت رطبة ».

أى أن العلم ينبغى أن يطلب فى طراوة السن.

وجاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال :

«تفقهوا قبل أن تسودوا» أى تعلموا العلم ما دمتم صغارًا وقبل أن تصبحوا سادة رؤساء منظورًا إليكم، فإن لم تتعلموا فى الصغر استحييتم أن تتعلموا بعد الكبر، فتبقوا جهالاً تأخذون العلم من أصاغركم فيزرى ذلك بكم.

وقال الشافعى:

«تفقه قبل أن ترأس، فإذا ترأست فلا سبيل إلى الفقه».

وقد أراد الخليفة عمر بن الخطاب أن يبين للشباب والناشئين أن الرئاسة والسيادة قد تكون سببًا لمنع التعلم، فالرجل المسئول ينشغل بأمور الناس، فلا يبقى لديه الوقت الكافى للتعلم، ثم إن الإنسان إذا ساد قومه أو أمته قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين الصغار أو قد تمنعه الأنفة عن الأخذ عمن هم دونه فى السن فيبقى جاهلاً.

فوقت الصغر والشباب والحداثة هو أحسن الأوقات للتعلم والحفظ والتحصيل، فوقت الشباب هو وقت الصحة والنشاط والفراغ وعدم الانشغال بالدنيا ومشاغلها. إذ أن الاستزادة فى طلب العلم فى الحداثة ووقت الشباب يحتاج إلى الملازمة وشدة الصبر عليه والمداومة، ولا يقدر على ذلك من علت سنه ولا يطمع فيه من مضى أكثر عمره.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه:

« اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

ولايعنى ذلك أن التعليم يطلب فى الصغر والشباب فقط، وإنما يحاول الإنسان الاستزادة من العلم طوال حياته، فالعلم يطلب من المهد إلى اللحد.

وإذا فات الإنسان الفرصة للتعلم فى الصغر فليعاود الكرّة مرة أخرى دون أن يستحى، إذ يفضل للمرء أن يعيش وهو يتعلم من أن يموت وهو جاهل.

ودخل يومًا منصور بن المهدى على المأمون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه، فقال: «ما عندك فيما يقول هؤلاء؟. قال: يا أمير المؤمنين أغفلونا فى الحداثة، وشغلنا الطلب عند الكبر عن اكتساب الأدب (العلم)، فقال: لم لاتطلب اليوم وأنت فى كفاية؟ (أى فى وفرة من المال) قال: أو يحسن بمثلى طلب العلم؟ قال: والله لأن تموت طالبًا للعلم خير من أن تعيش قانعًا الجهل، قال: وإلى متى يحسن بى؟ قال: ماحسنت بك الحياة».

لاشك إذا استفاد طالب الثانوية العامة من التوجيهات والنصائح سابقة الذكر فلابد أن يحرز النجاح بل ويتفوق فى الامتحان. ولا نقصد من ذلك أن نجاح الطالب وتفوقه يتوقف على اتباع هذه النصائح لأن معنى ذلك أننا نلقى كل اللوم والمسئولية على الطالب

وحده فى حين أن طالب العلم هو جزء من الموقف التعليمى الذى يتكون من طالب ومعلم ومادة علمية.

وقد يكون الطالب سويًا من حيث عقله وذكائه وطريقة استذكاره صحيحة ودرجة الجهد الذى يبذله فى الاستذكار كافية، ومع ذلك قد لا يحرز التفوق المطلوب.

وإذا قمنا بتحليل هذه الحالة نجد أن لكل من المعلم والمادة العلمية أى المنهج الدراسى دور فى نجاح الطالب وتفوقه. ولابد أن تتوفر شروط ومواصفات معينة فى كل من المعلم والمنهج الدراسى حتى تتحقق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية.

مسئولية المعلم تجاه الطلاب:

لكى تنتج التربية أثرها النافع ويؤتى التعليم أطيب الثمار، فإن أول واجب على المعلم هو أن يكون قدوة حسنة لطلابه.

وقد أدرك مفكرو العرب وحكماؤهم فى العصور السابقة أهمية ذلك فيما ذكره «عمرو بن عتبة» لمعلم أولاده حيث يقول:

«ليكن إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت..».

وعلى المعلم فوق ذلك أن يكون منزهًا عن الأغراض المادية والمعنوية، لأن الله قد وفقه إلى هذه المهنة الشريفة لكى يكمل

رسالة الأنبياء، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف :

« العلماء هم ورثة الأنبياء ». فالمعلم إذا كان مخلصًا لله فى تأدية عمله فلا يكون الطلاب فى حاجة إلى دروس خصوصية.

فالمعلم يجب عليه قبل أى إنسان آخر أن يعنى بعمله عناية تامة، وأن يبذل الجهد الجهيد فى سبيل تذليل مسائل العلم وتبسيطها، وتمهيد الطريق لتفهيمها للطلاب دون أن ينتظر مكافأة على جهوده أو تقديرًا من المسئولين على تضحيته، بل يكفيه أن يكون أمينًا مع نفسه راضيًا عنها فيما قام به من جهد وواجب نحو أمته وبلاده. فمهنة التعليم رسالة روحية لا تؤدى إلا بإخلاص فى العمل وتحمل مشقاته ومتاعبه مع التزود الدائم بالعلم والتمسك بالفضيلة والوصول بشخصية التلاميذ إلى ذروة الكمال، فمستقبل الشباب فى ذمة المعلم. وإذا تمكن المعلم من أن يخرج للمجتمع مواطنين صالحين متفوقين فى دراستهم نافعين لمجتمعهم فإنه بذلك قد حقق لنفسه السعادة وآتاه الله فى الدنيا حسنة وزيادة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا على لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها ».

وفى رواية أخرى.. « خير لك مما طلعت عليه الشمس ».

وخير المعلمين من كانت صلته بالطلاب ناشئة عن محبتهم له واحترامهم لشخصيته وشعورهم بعظيم فائدته، وعطفه عليهم بقدر إفادتهم من علمه، فالحب والاحترام المتبادل بين المعلم والطلاب هو نصف التربية أما النصف الآخر فهو طريقة التدريس وأسلوب التعليم.

وإذا بنى صرح التربية والتعليم على العنف والقهر وعدم المودة، كان التعليم عقيماً لايؤتى ثمرًا ولايجنى الطلاب منه فائدة.

ذكر الإمام الماوردى فى كتابه «أدب الدنيا والدين» إن من آداب المعلم ألا يعنف متعلمًا ولا يحقر ناشئًا ولا يستصغر مبتدئًا. ومن آراء الإمام الغزالى فى التربية أنه يزجر المتعلم عن سوء الخلق بطريق التعريض لا بطريق التصريح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ لأن الصراحة فى إظهار عيوب الطالب أو تعنيفه ولومه أمام زملائه، يهتك حجاب الهيبة من المعلم ويورث الجرأة على مخالفته، ويثير الحرص على العناد والإصرار.

ولقد كنا ونحن طلاب علم - نستثقل العلم الذى ندرسه على يد معلم لا نحس من أنفسنا نحوه مودة، وننصرف عنه، ونحب العلم الذى يدرسه لنا معلم نحبه ونحترمه لتواضعه معنا واهتمامه بنا وحرصه على إفادتنا دون ضغط أو إكراه أو لوم أو توبيخ.

فالمعلم الذى لا يربطه بالطلاب إلا صلة الكراهية والخوف، والذى يعامل طلابه بفظاظة وخشونة وغلظة وتكبر، والذى يرى أن

التدريس مهنة مرهقة وعمل جاف وأنها مجرد وظيفة يؤديها لينال أجرها نهاية كل شهر، غير شاعر بالمسئولية الإنسانية الملقاة على عاتقه ولا يأبه بالناحية الأدبية فى أحوال الطلاب وأخلاقهم، فلا يعود عمله إلا بالضرر على المتعلمين ولا ينتج عن ذلك سوى حفظ الطلاب للعلم مكرهين ويتلقون الدرس نافرين.

وفى الحديث الشريف :

« وقّروا من تتعلمون منه ووقّروا من تعلمونه ».

وعلى المعلمين أن يعنوا كل العناية باستكمال ما نقص من علمهم وتوسيع نطاق معارفهم والتماس خير الوسائل لحسن تفهيمها للطلاب، وإسداء النصح لهم وتوجيههم فى كل ما يتعلق بشئونهم.

ومن الخطورة أن يعتقد المعلم أن دوره فى الفصل هو تلقين الطلاب المعلومات الموجودة فى الكتاب ليحفظونها، أو يعتقد الطلاب أن حفظ الدروس وتسميعها هو أقصر طريق للحصول على درجات عالية والتفوق فى الامتحان، فمثل هذا الاعتقاد يخرج جيلاً من الشباب مقلدين دون فهم ومرددين كالببغاوات، فتصبح الحقائق والمعلومات شعارات يتغنون بها بألسنتهم دون أن ينتفعوا بها أو يكون لها أثرًا فى تعديل سلوكهم، بل أكثر من ذلك عندما يلتحقون بالتعليم الجامعى يواجهون صعوبة فى الدراسة لأنهم لم يتعودوا الفهم والتفكير والمنافسة وإبداء الرأى والبحث والتمحيص والتحليل والقراءة الفاحصة والربط بين الأفكار وبين العلوم بعضها وبعض، فى حين أن

أهم ما تهدف إليه العملية التعليمية هو تنمية العقل وإذكاء الفكر وتقوية الخيال وتدريب الذاكرة وتوسيع التصور وتعديل السلوك.

والذى يحدث بالفعل هو أن كثيرًا من المعلمين لم يدربوا على تحقيق هذه الأهداف العقلية والسلوكية، ولذا فإنهم لا يميلون إلى مناقشة الحقائق العلمية التى يلقنونها للتلاميذ ولا يعملون على عرضها بطريقة تحث الطلاب على إمعان النظر وممارسة التفكير، بل هم فوق ذلك قد يحظرون عليهم السؤال وإن كان ضروريًّا لإزالة غموض بعض عناصر الدرس بدعوى أن المقرر الدراسى طويل، وأن إتاحة الفرصة للمناقشة والتساؤل يعوق المعلم عن إتمام ذلك المقرر ويعطله عن إنهاء موضوع الدرس فى الوقت المحدد للحصة. مع أن التعليم فى نظر المربين منذ نشأت التربية وحتى يوم الدين، لم يهدف إلى تقديم الحقائق العلمية والأفكار إلى الطلاب لتكديسها فى أذهانهم أو تخزينها فى عقولهم دون تفكر أو تعقل أو تدبر أو دون توظيف هذه المعلومات للانتفاع بها، وإنما الغرض منها تهيئة العقول لقبول العلم والأفكار العلمية حتى ينمو لدى الطالب حب العلم والمعرفة والرغبة فى الاستزادة من العلم للإفادة منه فى معرفة الخير وإرشاد النفس إلى الاستكشاف بالعقل والوصول به إلى القدرة على الإبداع والابتكار أو التعديل والتطوير والإصلاح.

والمعلمون الذين يحصرون اهتمامهم فى إتمام المقرر الدراسى كيفما كان دون الاهتمام بتربية القوى العقلية والملكات الفطرية لدى

التلاميذ، وإنماء قوى الملاحظة بتدريب الحواس على التمييز بين الأشياء والظواهر والأصوات وتقوية الإدراك والتفكير والمناقشات العلمية عليهم أن يتدبروا قول ابن خلدون الذى اهتدى بنور بصيرته منذ ستة قرون تقريبا إلى أن أيسر الطرق لتحصيل العلوم والحذق فيها إنما يكون بالمحاورة وفتق اللسان والمناظرة فى المسائل العلمية، أما التعليم بطريق الحفظ والتلقين فلا يجدى نفعًا. ويجب على المعلمين أن يعلموا أن الغرض من التعليم فى المراحل قبل الجامعة ليس تخريج متخصصين فى تلك العلوم، بل الغرض منه تمرين التلاميذ والطلاب على التفكير، والنظر الصحيح إلى الأشياء والحكم عليها حكمًا صائبًا، وبعبارة أخرى ليست تلك العلوم المختلفة غايات ومقاصد تطلب لذاتها، وإنما هى وسائل ووسائط تتضافر جميعها للوصول إلى نتيجة مشتركة واحدة هى: تهذيب العقل وتقويم الفكر.

وها هى نبذة من قول ابن خلدون فيما يجب تحصيل العلوم بالفهم والتفهم:

«.... وبقيت فاس وسائر أقطار الغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسر عليهم حصول الملكة والحذق فى العلوم، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية، فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها، فتجد طلاب العلم منهم، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية - سكوتًا

لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكات التصرف فى العلم والتعليم..»

وهكذا كان العرب فى العصور السالفة يرون التعليم، فقد كانوا يكرهون فى الطالب أن يكون خامد الروح يقبل ما يلقى عليه من العلم دون مناقشة أو يمنعه الحياء أن يسأل عما يجهل.

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت:

«نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه».

وخلاصة القول أن المعلم الذى يؤدى دوره بإخلاص ويتقن عمله ويترفق بالمتعلمين ويستحوذ على قلوبهم ويفيد عقولهم ويكون قدوة حسنة لهم ويساعدهم على الفهم والتحصيل ويحثهم على الاطلاع والبحث والاستذكار، ويشجعهم على التساؤل والاستفسار وغير ذلك فإنه يكون عاملاً من العوامل الهامة التى تسهم فى نجاح الطالب وتفوقه.

المنهج الدراسى:

قال بعض العلماء:

«كل علم كثر على المستمع ولم يطاوعه الفهم، ازداد القلب به عمى...»

لقد أدرك من كان قبلنا من المفكرين العرب ازدحام المنهج الدراسى بالموضوعات العلمية، وتعدد العلوم فى المقرر الدراسى بكل صف وكل مرحلة تعليمية قد يشغل عقول الطلاب عن الفهم، إذ أن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم، وفى تلك الحالة يقع العبء على المعلم إذ يجب عليه أن يقتصد فى عرض الأفكار على المتعلمين فى الحصة الواحدة حتى لا يشغلهم تزاحمها عن فهمهم لها.

وبالمثل إذا كانت موضوعات مادة من مواد المنهج أو المقرر الدراسى قليلة أو ناقصة فعلى المعلم أن يستكمل ما نقص ويقدم للطلاب ما يناسبهم من معلومات وأفكار تنير لهم الطريق.

فالمعلم الكفء هو الذى يجعل من المنهج التقليدى منهجاً حديثًا ومن المنهج الصعب منهجًا سهلاً وعليه يتوقف حب الطالب للعلم والمادة العلمية أو كرهه لها.

قال مالك بن أنس:

«إن هذا العلم دين، فانظروا عن من تأخذون دينكم».

وقال أحد وزراء التعليم الفرنسيين عندما شكا بعض المدرسين من نقص منهج الفلسفة فى المدارس الثانوية.

«سادتى: ليس التعليم كأسًا تملأ وإنما هو مصباح يضاء».

العلاقة بين العلم والأخلاق

لاشك أن الأخلاق هى دعامة كل نهضة وتقدم وحضارة، بل هى الحارس الوحيد الذى يحمى الأمم ويقيها من الانهيار والضياع، والخلق الحميد لازم لكل من المعلم والمتعلم، فقد قال أحد العلماء لابد أن يأخذ طالب العلم علمه ممن كملت أهليته، وظهرت ديانته وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته، ولا يكفى أن يكون المعلم كثير العلم فقط، بل لابد وأن يكون له دربة (خبرة) ودين وخلق جميل وذهن صحيح واطلاع تام.

ولابد لطالب العلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة ويكون صبورًا ويتأدب بالحلم ويتحلى بالهدوء والأناة، ويحترم الكبير ويعطف على الصغير، ويوقر المعلم، ويبر بالوالدين ويخلص للأصدقاء ويحرص على العلم ويكون صاحب همة عالية.

قال إبراهيم بن أدهم : «ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم إذا تكلم تكلم بعلم، وإذا سكت سكت بحلم. يقول الشيطان : انظروا إليه، كلامه أشد عليّ من سكوته».

وإذا اهتم التعليم بكل شيء وترك الأخلاق فإنه يكون تعليماً ناقصًا، فالتربية الكاملة هى ما اتخذت الأخلاق أساسًا ونبراسًا وبدون ذلك لا يكون هناك تربية. فالأخلاق ليست مهمة فحسب ولكنها الهدف من التربية، وإذا بلغنا بالمتعلمين إلى هذا الغرض نجحنا فى مهمة التعليم ومتى تعلمنا كيف نؤدى واجبنا نحو التربية الخلقية فإنه لا يكون هناك مشكلات تعترضنا أو تعترض شبابنا من طلاب الثانوية العامة وغيرهم. فالدولة لا تنفق على التعليم ملايين الجنيهات من ميزانيتها سنويًا لكى تعطى الشباب شهادات يتسوظفون بها أو يتباهون بها. بل إن الدولة تبذل الجهد وتغدق الأموال على العلم والمتعلمين من أجل تثقيف العقول وتهذيب النفوس، فالعقل المثقف بالعلوم والمشحوذ بالمعارف كان ومازال فى كل زمان مناط التمييز بين الأفراد، وقاعدة المناضلة بين المجتمعات والأمم فى معترك الحياة.

والتقدم الإنسانى من الناحية المادية والمعرفية إذا لم يصاحبه اتزان من الناحية الخلقية يكون العلم وبالاً على المجتمع وضررًا على البشرية.

وقد اتفقت الديانات والمبادئ على اختلاف أنواعها على أهمية الأخلاق، فحينا يمدح الله رسوله عليه الصلاة والسلام يمدحه بسمو أخلاقه فى قوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾.

وحينما يقف الرسول لتوضيح أهداف دعوته يعلن أنه بعث مؤدِّبًا فيقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ». ذلك هو الدين، وكل دين سماوى جعل دعامته الأولى الأخلاق المتينة.

ولو رجعنا إلى تطور التربية على مر العصور لوجدنا أن العلاقة بين التربية والأخلاق هى قضية كل عصر، ودعوة كل مصلح، وأمل كل نظام. إذ أن الله يبعث بين حين وآخر بقبس من نور المصلحين خلال تاريخ الإنسانية ليبعدون الناس عن جحودهم ويقفونهم على سوء تفكيرهم ويخرجونهم من الضلالة والجهل والظلام الحالك فى بحر الماديات، وطالما نادى هؤلاء العلماء المصلحين بأن الهدف من التعليم والتربية هو بناء الأخلاق. ولعل المربى العظيم « سقراط » كان أول من وجه الأنظار إلى الأخلاق وعلاقتها بالعلم حين قال : إن المعرفة تؤدى إلى الفضيلة.

ولم يقصد « سقراط » أن مجرد العلم بالفضيلة يضمن للإنسان أن تكون كل أعماله فاضلة صائبة من الوجهة الخلقية، وإنما أراد أن يبين أن الأعمال الفاضلة والسلوك الصحيح لا يأتى عن فرد لا يعلم معنى الفضيلة.

أما « أرسطو » فقد قسم الخير نوعين : خير الإدراك وخير الخلق، أما خير الإدراك فينشأ وينمو بطريق التعليم. وأما خير الخلق فينشأ عن التربية وممارسة الفضيلة والتعود عليها. فالفضيلة لاتتكون مطلقًا من مجرد معرفة الخير بل من تطبيق هذه المعرفة.

بينما يرى فلاسفة المسلمين أن الخُلُق الفاضل هو ميل نفسى يحمل صاحبه على البذل والعطاء فى جميع الظروف من غير رؤية ولا تفكير. وأن أهم أغراض التربية عندهم هو الفضيلة والتقرب إلى الله.

ويدل على ذلك قول الإمام الغزالى : « الخلق الحسن صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين، وثمرة مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين ».

أما « ابن خلدون » فإنه يرى أن خير وسيلة للتربية الخلقية هى القدوة الحسنة فإن الأبناء يأخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يأخذون بالنصح والإرشاد.

ويرى فلاسفة التربية الأوروبيين أن الفضيلة هى أسمى أغراض التربية. ولو أن لكل منهم طريقة خاصة فى تهذيب الناشئين وتثقيف عقولهم. فالفضيلة عند « جون لوك » إنما تتكون عند الفرد بالتعود عليها منذ الصغر فيقول :

« من البديهيات عنده أن أساس الفضيلة أن يقدر الفرد على منع نفسه كثيرًا مما تميل إليه وترغب فيه إذا لم يكن العقل رائدها فى هذه الميول والرغبات، أما طريق الحصول على هذه القدرة فإنما يكون بالتعود منذ الصغر، ولذلك أنصح للمربين أن يأخذوا الناشئين بالمنع والحرمان، ويحولوا بينهم وبين كثير مما يشتهون ».

وينصح «جان جاك روسو» بألا يلجأ المربى إلى النصح والإرشاد فى تربية الناشئة تربية خلقية لأنهما لا يجديان شيئًا وإنما عليه أن يسلك الطرق العملية فيدفع الغلام إلى مخاطبة الناس ومعاملتهم وعليه أن يستثير فيه عاطفة الرحمة والحنان بدعائه إلى زيارة المرضى فى المستشفيات، وزيارة الفقراء الجانحين فى السجون، وملاجئ العجزة والأيتام واطلاعه على مظاهر البؤس وصنوف البلاء التى يقاسيها كثير من الناس.. على شريطة ألا يكثر المعلم من ذلك حتى لا يتعود الطالب على رؤية البؤس والفقر والألم فيقسو قلبه ويتجمد عقله ويضعف وجدانه.

وقد وجدت آراء كل من بستالوتزى وهربارت وفروبل صدى عميقًا وأثرًا بالغًا عندما نادى كل منهم بأن التربية وسيلة لبناء الأخلاق ولبناء مجتمع فاضل جديد، وقد وجدوا لهم أتباعًا كثيرين وأنصارًا حيث ساد فى عصرهم فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر شتى أنواع الفوضى والاضطراب والكفر والإلحاد..

أما شيخ المربين «جون ديوى» فهو يرى أننا لا نستطيع أن نغير الأخلاق بالوعظ والإرشاد دون أن نغير نظمنا العملية والسياسية لأن هذا الزعم يناقض مبدأنا من أن الأخلاق ما هى إلا ميول مؤثرة فى الحياة الاجتماعية. وجون ديوى ممن لا يؤمنون مطلقًا بتعليم الأخلاق بواسطة تلقين مبادئها، بل يعتقد أن أفضل طريقة لتعليم الأخلاق هى العمل والنشاط وما يؤديان إليه من التعاون وخدمة الغير والأمانة والصدق وغير ذلك. ويقول «ديوى»: إن الأخلاق لا ينبغى فعلها عن التعليم كما لاينبغى أن نفصل العلم عن العمل.

من المسئول عن تهذيب أخلاق الناشئة والشباب؟

يقول الفيلسوف الفرنسى مونتين: «إن مثل العلماء فى ازدياد تواضعهم كلما تبحروا فى العلم كمثل سنابل القمح تظهر بادئة وهى خلو من الحب متعالية شامخة، فإذا امتلأ جوفها ودنا نضجها احدودبت سيقانها وانحنت رءوسها، كذلك رءوس العلماء تنوء بالعلم فتتضع، فإذا رأيت رجلاً يعجب بنفسه ويفخر بعلمه فهو مريض بالخيلاء وعلاجه الاستزادة من العلم والاعتراف من بحاره».

ومعنى ذلك أن الأمراض الخلقية لا علاج لها إلا بتحصيل العلوم والارتواء من مناهلها، وعلى هذا تكون القوة المسيطرة على هذا العالم والقادرة على حل مشاكله هى العلم والعقل، فقد قال المربى السويسرى الأب جيرار: «إننا نعمل كما نحب ونحب كما نفكر»

وكأنه يريد بهذه العبارة أن يبين لنا أن العمل يتولد من الوجدان وأن الوجدان يتولد من الفكر أى أن العمل نتيجة الفكر.

وهذا بعينه ما جاء فى الحديث الشريف :

قالت عائشة رضى الله عنها : قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا؟ قال : بالعقل، قلت : وفى الآخرة؟ قال : بالعقل، قلت : أليس إنما يجزون بأعمالهم؟ فقال : وهل عملوا يا عائشة إلا بقدر ما أعطاهم الله عز وجل من العقل؟ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون».

فكأن الخير يأتى من العقل والفضيلة تأتى من العلم.

قال تعالى : ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا﴾.

ولكن قامت طائفة من العلماء وأنكرت تأثير العلم فيما يصدر عن الإنسان من الأعمال الفاضلة.. فقال الفيلسوف الفرنسى بسكال : «إن الأخلاق الصحيحة تهزأ بعلم الأخلاق» بمعنى أن المثل العليا للأخلاق فى واد، وعلم الأخلاق الموضوع بواسطة الإنسان فى واد آخر.

ثم جاء بعده الفيلسوف الإنجليزى هربارت سبنسر وأنكر على العلم كل سلطة تهذيبية وكل تأثير فى إصلاح النفوس، ونادى بأنه لا علاقة بين العلم والأخلاق وقال :

إن تحمس العلماء والمصلحين وتعصبهم للعلم ونشره بين طبقات الأمة ابتغاء إصلاح أخلاقها من وراء تعليم القراءة والتوسع فى المدارس ونشر الكتب لهو بدعة من بدع هذا الجيل وسخافة من سخافات أهل هذا العصر.

ويقول أيضا : «كيف يرجى من العلم تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس بينما نرى من المتعلمين الذين استنارت عقولهم واتسعت مداركهم أفرادًا لا أخلاق لهم، ووعاظًا يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم، وسياسيين عظماء قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، عاملين على خراب الدنيا، وإلحاق أكبر الشرور بالنوع الإنسانى، وأطباء من أكبر العلماء يدسون السم لمرضاهم.. فما أغنى العلم ولا نهى التعليم. . ».

ثم يقول : «وبجانب هؤلاء نجد من بين الجهلاء والأميين من هم على جانب عظيم من الاستقامة والشرف وعلو الهمة».

ويسخر «هربارت سبنسر» من المصلحين والخلقيين الذين يعتمدون فى إثبات قوة العلم على تهذيب الأخلاق بالإحصاءات الدالة على وجود صلة وارتباط بين الجهل والإجرام.

ويقول : «إن مثل من يقدم هذا برهانًا على تأثير العلم فى الأخلاق كمثل من يقول : إن سبب ارتكاب الجرائم عدم نظافة الجسم ورثاثة الثياب لأن السجون ملأى بهؤلاء».

وفى خاتمة مقالته يقول: «إننا إذا أردنا أن نحسن الأخلاق ونهذب النفوس، ونطهر الدم، فلابد لنا من تربية الوجدان والميول لأن الناس فى أعمالهم يحكمون عواطفهم وينقادون لأهوائهم، دون أن يستشيروا حكمتهم ويصغوا إلى نداء عقولهم».

وهذا كان أيضًا رأى الفيلسوف الفرنسى «أوجست كونت» إذ كان فى أواخر أيامه يقول: «إن المشاعر هى التى تحكم الناس لا الأفكار».

إننا نعترف بكل أسف أن العلماء والمتعلمين ليسوا فى كل الأحوال ممن يقتدى بهم فى طهارة الذمة وعلو الشرف، وأن الجهلاء وصغار العقول ليسوا حتمًا من خبثت نفوسهم أو فسدت نياتهم، كما نعترف أن العلم قد يكون سيف الباطل فى يد من تأصلت الرذيلة فى نفوسهم وسرى الفساد فى أعراقهم، غير أن الجاهل قد يضر من حيث يريد النفع، لأن التمييز بين الخير والشر فى بعض المواطن من أشق الأمور وأدقها، والعلم بلا شك هو الذى يهدى الإنسان ويرشده إلى أقوم الطرق وأهدى المسالك.

غير أن هربارت سبنسر يرى أنه لابد من البحث عن طرق أخرى غير طريق العلم لتهذيب النفوس وإصلاح الأخلاق.

كيف يرى هربارت سبنسر أن هناك طريق آخر غير طريق العلم يهذب الأخلاق وهل هناك بالفعل طرقًا أخرى يمكن أن تستخدم

لتهذيب النفس البشرية التى من أهم خاصيتها العقل الذى دأبه التفكير؟ وهل هناك قوة أكبر من قوة الحجة والدليل والبرهان العقلى لكى يتعظ الإنسان ويعدل عن سلوكه ويتجه نحو الخير والفضيلة؟

ومن المسئول عن تهذيب أخلاق الناشئين والشباب؟ هل هى المدرسة؟ أم المنزل؟.

العلم هو الطريق لتهذيب الأخلاق:

وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول: إن للعلم تأثير مباشر وغير مباشر وبالاستفادة من التأثيرين يكون العلم هو الطريق الوحيد لتهذيب الأخلاق ولكن النجاح فى تحقيق الهدف يتوقف على الطريقة التى يقدم بها العلم.

فمثلا إذا أردنا أن نهذب سلوك جماعة من الناشئين المنحرفين أو الجانحين فإننا نبدأ بتقديم درسا مباشرا لهم فى مضار السرقة مثلا وأنواع العقوبات التى يفرضها القانون وأثر ذلك على مستقبل الفرد وأن الحياة الشريفة والخلق الحميد يقى الإنسان من العقاب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة فإن مثل هذا الطريق المباشر أو محاولة التأثير المباشر على الجانحين وبث الأمانة والسلوك القويم فى نفوسهم قد لا يكون كافيا لتعديل سلوكهم. وذلك للاعتبارات الآتية:

أولا: أن الدراسة النظرية لعلم الأخلاق تتضاءل قيمتها إذا اقتصرت على مجرد مدح الأمانة وذم السرقة.. إذا تم هذا الدرس دون تحليل للنتائج الاجتماعية المترتبة على سلوك الفرد.

ثانيا : أن المثل العليا تصبح عديمة المعنى إذا انفصلت عن الخبرة.

ثالثا : أن المثل العليا التى تعتمد فى بثها فى نفوس الصغار والناشئين على مجرد تلقين ألفاظ تصبح عديمة القيمة.

فمثل هذا التعليم المباشر لا يغير من سلوك الفرد الجانح خوفا من العقاب، فقد يعتقد الفرد أنه بذكائه وفطنته قادرا على أن يسرق دون أن يقع فى أيدى رجال الأمن، وأنه بحيلته لا يقع تحت طائلة القانون وحتى السجون ودور الأحداث لا تغير من السلوك الرذيل لكثير من الجانحين، بل على العكس قد تكون مكانا يتعلمون فيه وسائل شتى وطرقا متعددة فى نواحى الإجرام.

وفى هذه الحالة فإن الطريق غير المباشر فى تهذيب الأخلاق أنجع من الطريق المباشر. فإذا قدمنا لجماعة الجانحين دروسا عملية ونظرية فى بعض المهن أو الحرف والصناعات فإنهم يتعلمون مهنة يتكسبون منها رزقهم، وإذا ذاق الجانح حلاوة المكسب الحلال فإنه لا يلجأ للسرقة مرة ثانية. وبذلك نكون قد ساعدناه على تهذيب أخلاقه عن طريق العلم والتعليم ولكن بطريقة غير مباشرة.

وجدير بالذكر أن لكل علم من العلوم جانب نظرى وجانب تطبيق أو عملى. وللجانب النظرى أسس ومبادئ، وللجانب العملى آداب وسلوك. والذى يحدث هو أننا فى المدارس نقدم العلم للطلاب

ناقصا، إذ يتعرفون على النظريات والحقائق دون أن يدركوا أسسها ومبادئها وكيف توصل صاحب النظرية إليها. ويدرّب الطلاب على تطبيق النظرية دون تعلم آداب هذا التطبيق وممارسته. لذلك فإن العلم لا يجدى فى تهذيب خلق الطلاب ولا يؤدى بهم إلى الفضيلة. وفى هذه الحالة كان لابد أن يدرك «هيربارت سبنسر» أن العيب ليس فى العلم نفسه ولا يجب أن نلقى اللوم على العلم ونتهمه بأنه لا يؤدى إلى الفضيلة بل اللوم كل اللوم لابد أن يلقى على المعلمين والعلماء الذين لا يضعون لكل علم آداب يتبعها المتعلمون عندما يخرجون إلى الحياة العملية أو عند التطبيق عمليا. إذ أنه لا يكفى إعطاء درس للطلاب عن الأخلاق وعن الفضيلة بل لابد من تطبيق الدرس عمليا وسلوكيا، هذا من ناحية، وتعريفهم بآداب التطبيق من ناحية أخرى لأن الاكتفاء بالدرس النظرى عن الأخلاق يكون كمن أعطى درسا أو قرأ كتابا عن الطيران مثلا ثم يتصور أنه يمكنه أن يقود طائرة ويركب متن الهواء.

المنزل والمدرسة مسئولان عن التوجيه الخلقى للشباب:

إن هناك ميادين وجهات متعددة مدرسية وغير مدرسية مسئولة عن توجيه الناشئة والشباب وتهذيب أخلاقهم، وسوف نقتصر هنا على دور كل من المنزل والمدرسة.

أولا: المنزل:

لا يمكن أن ننكر أن المنزل يلعب دورا كبيرا فى تشكيل سلوك الفرد وتهذيب أخلاقه، إذ أن كل فرد يقضى فترة طفولته الأولى فى

المنزل ويتلقى دروسه المبكرة على يد المربي الأول لـه وهـى الأم أو الأب، والأسرة فى المنزل تشكل مجتمعا صغيرا وهو أول مجتمع يتصـل به الطفل ويتفاعل معه ويتأثر به.

وفى المنزل تتكون البذور الأولى لشخصية الفرد فهو يتعلم الكلام من الأسرة ويكتسب لغتها ويتعلم العادات والعرف والمظاهر الاجتماعية التى تتمسك بها الأسرة، كما يكتسب من خلال هذا التفـاعل وهـذه العادات بعض القيم الخلقية التى توجه سلوكه، وقد تكون هذه القيم نافعة أو ضارة إلا أنه يكتسبها بطريق مباشر وغير مباشر فتصبح جزءًا من شخصيته. فالمنزل هو أول معمل يجتازه الطفل ليخـرج منـه إلى المجتمع الثانى الصغير هو مجتمع المدرسة وهو مسـتكمل شروط الانسـان كلها أو بعضها ليتلقى التعلم والتربية المنظمة والقائمة على أسس علمية مدروسة.

وعلماء التربية والأخلاق يضـعون المنزل فى المكان الأول ويـدركون خطره وأهميته فى صنع الأخلاق وتوجيه الشخصية، ويؤكد رأيهم هـذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل مولود يـولد على الفـطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

والمدرسة الحديثة لا تغفل أهمية المنزل فى تشكيل سـلوك الصـغار وتحرص على الاتصال بالأسرة للتعاون معها فى تـربية الفـرد وتـكوين شخصيته، إذ أنه بالرغم من انقضاء مرحلة الطفولة إلا أنه لا يـزال للمنزل أثره على أبنائه بعد أن يخرجوا للمدرسة.

ثانيا : المدرسة :

تلعب المدرسة دورا لا يستهان به فى إعادة تشكيل شخصية الصغار وبناء أخلاق الناشئين، وخاصة المدارس الحكومية حيث يكون التلاميذ بها من مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة، فالطفل الغنى يجلس بجوار الفقير، والطفل الذكى يجتمع مع الغبى أو الأقل ذكاءً فى فصل واحد. وفى داخل المدرسة تنصهر شخصيات التلاميذ فى شخصية ثقافية واحدة حيث يتلقون جميعا تعليما واحدا وقيما سلوكية واحدة من خلال منهج دراسى منظم، وتحرص المدرسة على أن تجعل من المنهج الدراسى عاملا من عوامل البناء الخلق للتلاميذ، فتحدد المدرسة أهدافا عامة للمنهج وأهدافا خاصة لكل مادة دراسية من مواد المنهج بحيث تحقق المادة العلمية أهدافا تعليمية وتربوية وخلقية.

ومن هنا يظهر فضل المدرسة فى تكوين المواطن الصالح..

تخلى كل من المنزل والمدرسة عن دورهما التربوى :

بالرغم من الفوائد الجليلة التى عادت على البشرية من جراء التقدم العلمى والتكنولوجى فى العصر الحديث وسيادة المبادئ الديمقراطية والمساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات، إلا أنه قد نجم عن هذا التقدم مشكلات إجتماعية واقتصادية تركت بصماتها وظهرت آثارها على كل من المنزل والمدرسة. وكان ضحيتها هو الطفل رجل المستقبل، وأول من تأثر فى شخصية رجل المستقبل هو

قيمه وسلوكه. فالأم التي كانت مسئولة عن تربية ابنها في مراحل حياته الأولى خرجت للعمل للمشاركة في تنمية المجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا بعد أن ظهرت حاجة المجتمع إلى جهودها، وتركت الأم مسئولية تربية الابن إلى خادمة أو مربية بالأجر لا تعلم عن أسس التربية وأصولها شيئًا، هذا فضلًا عن أن الخدم لم يجدوا من يهتم بتربيتهم أو تعليمهم أو تهذيب أخلاقهم، فكيف نلقى لهم بأبنائنا فلذة اكبادنا ليتعهدونهم بالرعاية أو التربية.. وقد تكون الأم أسعد حظًا لو ألقت بابنها إلى جدته أو عمته لترعى شئونه أثناء غيابها عنه.

والطفل في هذه المرحلة من حياته يتلقى توجيهات وقيم من الأم تارة ومن المربية تارة أخرى، وكلها دون شك توجيهات متناقضة ومتفاوتة ومتعددة، فيصبح مترددًا بين ما يصح وما لا يصح، بين الحق والباطل، بين أفكار رجعية تقليدية وأخرى تقدمية، بين حنان الأم وعطفها وجهل المربية وخشونتها وقسوتها وفساد أخلاقها، فيفقد الطفل ذاته لأنه لم يعد هناك أحد متفرغًا له تمامًا أو مستجيبا لمطالبه عند الحاجة، أو يوجه سلوكه بالرفق والحنان والعطف، بل إنه هو في هذه المرحلة الذى يجب عليه أن يستجيب لسلوك من حوله ويخضع لقيم الآخرين، وفى هذه الحالة يكون الطفل في أشد الحاجة إلى المجتمع الثاني - مجتمع المدرسة - لكى يصلح ما فسد من شخصيته.

يذهب الطفل إلى المدرسة بعد أن يصل إلى السن المناسب للالتحاق بها، فيجد مئات التلاميذ داخل جدران المدرسة لهم نفس

ظروفه، ويلتقى فى الفصل لأول مرة بمعلم أو معلمة مسئولة عن اربعين أو خمسين تلميذًا مثله، لأن سيادة الديمقراطية وتعميم التعليم وجعله بالمجان قد أدى إلى زيادة الطلب الاجتماعى على التعليم قبل أن تستعد الدولة بتوفير المدارس الكافية لكل الأطفال الملزمين، فارتفعت كثافة الفصل إلى هذا العدد الضخم من التلاميذ، فزاد العبء على المعلم ولم يعد وقت الحصة كافيًا للاهتمام بكل طفل، فيكتفى المعلم بتلقين الدرس للتلاميذ وكلهم يرددون الدرس وقد يفهمون وقد لا يفهمون، وقد يستوعبون ويحفظون وقد لا يحفظون، فوقت الحصة لا يسمح بتقويم كل طفل أو اختبار قدرته، فالطفل الذكى لا يجد مشكلة فى الدرس بينما الطفل المتوسط الذكاء أو الأقل من المتوسط قد يتخلف أو يتأخر فى دراسته ولا يدرى به المعلم، وتصبح العملية التعليمية آلية دون توجيه أو تعديل فى شخصية الطفل ولا تسمح حتى بتنميتها، بل إن الظروف مواتية للمعلم لكى يرفع من دخله الشهرى ويحسن من مستواه الاقتصادى، فيدفع بعض التلاميذ القادرين ماديًا على أخذ دروس خصوصية إذا أرادوا أن ينجحوا أو يستفيدوا من الدرس، أو يقترح على إدارة المدرسة إعداد مجموعات من التلاميذ لإعطائهم دروسًا إضافية لتقويتهم وتحسين مستواهم العلمى.

وهكذا يصبح دور المدرسة دورًا أكاديميًا فقط، فهى تهتم بالناحية التعليمية، أما الناحية التربوية فلا يسمح الوقت بممارستها داخل المدرسة.

ويستمر التلميذ على هذه الحالة ينتقل من صف دراسى إلى آخر ومن مرحلة تعليمية إلى أخرى حتى يصل إلى مرحلة الثانوية العامة. وهى المرحلة الفاصلة، قد ينتهى عندها الخط التعليمى لبعض الطلاب. وقد تكون بداية الطريق الموصل للجامعة للبعض الآخر، غير أن هذا الطريق لم تتعهده يد الرعاية بالصقل العقلى والتهذيب الخلق ولم تضع أمام مرتادى هذا الطريق علامات موجهة لميولهم. فيقف الطالب فى مفترق طريق الثانوية العامة حائرًا لا يعرف أين يتجه ولكنه لابد أن يستكمل الطريق ليضيف إلى شهاداته الدراسية شهادة أخرى جامعية تسمح له بالحصول على وظيفة محترمة بعد التخرج، ويحاول الطالب أن يتعرف على قدراته واستعداداته وميوله لكى يختار الطريق فيجد ميوله غير واضحة فيبحث عن إمكانياته العلمية فيجدها على غير أساس أكاديمى متين، ولكنه لابد أن يختار إحدى الشعب العلمية الثلاث التى ينقسم إليها التعليم فى المرحلة الثانوية فيلجأ إلى أهله ويحصل على مشورتهم فيشير عليه الأهل باختيار الشعبة أو التخصص الذى يعود عليه بالمال الكثير بعد التخرج، وإذا قبل الطالب هذه المشورة فإنه يختار شعبة العلوم لأنها توصله إلى كلية الطب، أو يختار شعبة الرياضيات لأنها توصله إلى كلية الهندسة، فهى من وجهة نظر الآباء كليات مرموقة، أما إذا لم يقبل فإنه يحاول استطلاع رأى زملائه لكى يهتدى باختيارهم، رغم أنه يعلم أنهم ليسوا أحسن حالاً منه، فكلهم سواء فى نفس

المشكلة، وكلهم يواجهون اختيارًا صعبًا ويختار الطالب شعبة العلوم أو شعبة الآداب لأن بها أكبر عدد من أصدقائه فهو يأنس لهم ويجد ألفة فى اصطحابهم. وسواء اختار الطالب هذا التخصص أو ذاك فإن العلوم كلها عنده سيان، إذ أنه قد تعود منذ الصغر على أن يحفظ كل المواد عن ظهر قلب دون أن يفهمها أو ينتفع بها، وبذلك سوف لا يواجه صعوبة فى الحصول على الدرجات العالية المطلوبة فى شهادة الثانوية العامة والتى هى كل الشروط الموضوعة للالتحاق بالجامعة. وقد يوفق الطالب فى تحقيق هذه الشروط ولكنه يخرج من هذه المرحلة وكأنه لم يتعلم شيئًا ليدخل مرحلة تعليمية جديدة هى مرحلة التعليم الجامعى. ويحمل معه نفس المشكلات التى عاناها فى المرحلة السابقة مشكلات الحفظ دون فهم، ومشكلة النسيان ومشكلة عدم القدرة على استيعاب كل الدروس ومشكلة السلبية وعدم الاستجابة أو التفاعل مع المعلم أو الأستاذ الجامعى وقت الدرس.

وهذه المشكلات قد قدمنا لها توجيهات وحلولاً فى الفصل الأول من الكتاب.

أما الناحية التربوية والخلقية التى افتقدها الطالب فى المدرسة كما افتقدها فى المنزل نتيجة لتغير الظروف التى تحيط بكل من الأم والمعلم - جعلته أمام مشكلات أخرى تتعلق بشخصيته ومستقبله، وإذا أراد أن يعرض مشكلاته بغية الوصول إلى حل لها فإنه لا يعرف أين يذهب إذا احتاج توجيهًا، ويسأل مَنْ إذا أراد الفائدة،

ولذا فقد خصصنا الفصل التالى من هذا الكتاب لتقديم توجيهات ونصائح تربوية وخلقية للطلاب، فقد يجد الطالب فيها ما يعينه على حل بعض مشكلاته.

ولكى نوفر على الطالب جهد البحث عن حلول لبعض المشكلات التى تواجهه فى حياته الأسرية وخاصة إذا كانت حلول هذه المشكلات فى يد الآباء أنفسهم، فإنه من الأفضل أن نوجه للآباء بعض الآراء والنصائح التى تحقق لأبنائهم الاستقرار والخير والسعادة، وتوفر عليهم كثيرًا من المشكلات.

توجيهات إلى الآباء

إن مهمة الأسرة نحو أبنائها تنحصر قبل كل شيء فى تربيتهم تربية جسمية سليمة وتربية خلقية صحيحة، أما التربية العقلية فإنها تأتى فى مرحلة متأخرة بعد ذلك هى مرحلة المدرسة، لأن العقل لا يظهر نضجه إلا فى سن متقدمة. يقول المربى الإنجليزى «توماس أرنولد».

« . . . لن يلاقى الأطفال فى حياتهم الأولى وبالاً شرًا عليهم من سبق عقولهم لأبدانهم».

لذا فإن أهم ما تهتم به الأسرة هو أن يشب أطفالها أصحاء أقوياء البدن، والواقع أن سلامة النفوس وصحة العقول تتوقف إلى حد بعيد على صحة الأجسام، فمن النادر أن نجد تلميذًا ذكيًا فطنًا فى جسم خامل.

ويجب على الآباء أن يعلموا أن الاخطاء الكبيرة التى يقعوا فيها والتى يرتكبها الوالدان فى تربية ابنائهما، إما بسبب الجهل بالأمور وإما بسبب الأنانية والإهمال وحب المال، إنه ينشأ عن ذلك فشل الأبناء فى مواجهة الحياة ومطالبها، وقد ينشأ عن ذلك معظم الشر الذى يئن منه المجتمع.

فمن الملاحظ فى أيامنا هذه أن الماديات قد سيطرت على عقول الآباء فخرجت الأم من ناحية والأب من ناحية أخرى يبحث كل منهما عن أفضل عائد مادى وأكبر دخل شهرى حتى ولو اضطرهما ذلك إلى السفر خارج أرض الوطن إلى أى بلد عربى يعملان من أجل جمع المال ويتركان أبناءهما بمفردهم فى المنزل تحت رعاية إحدى الأقارب أو مربية للأبناء ويعيش الابناء كاليتامى وأبواهما أحياء، وكلما زاد رصيد الأسرة فى البنك كلما زاد الطمع والحرص على البقاء خارج الوطن لجمع الأموال.

قال أمير الشعراء أحمد شوقى رحمه الله :

ليس اليتيم من انتهى ابواه من ... هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذى نلقى له ... أمًّا تخلت أو أبا مشغولا

وكنتيجة حتمية لسيطرة القيم المادية على أفراد المجتمع فى هذا العصر، يتفكك الرباط الأسرى ويفقد الأبناء التوجيه التربوى الضرورى لحياتهم وبقائهم وتنمو فيهم غريزة حب المال والتملك، ويتحملون المسئولية فى سن مبكرة، فيشعرون بالفشل وخيبة الأمل عند التعامل

مع أفراد المجتمع دون توجيه فيشعرون بعدم التوافق النفسى والاجتماعى كل ذلك لأن آباءهم اشتروا لهم الأمن المادى بالأمن والاستقرار العاطفى، فينشأ الأبناء غلاظ القلوب، وقد يتولد فيهم الحقد على المجتمع والأنانية، وقد يدفعهم تعويض النقص العاطفى والاستقرار إلى التباهى وحب المظهر أمام الزملاء والقرناء والتكبر والإحساس بالعظمة أمام الآخرين، كل ذلك أمراض نفسية أو اجتماعية وخلقية يتعرض لها الأبناء نتيجة سوء تصرف الآباء.

فالابن الذى يصبح من أسرة غنية خلال سنين قليلة من حياة الأسرة، والذى يجد نفسه بين أبوين : أم تسعد له الحال، وأب يكفل له المستقبل بجمع الأموال دون أن يكبده عناء أو تعبًا لابد أن يواجه مشكلات نفسية وخلقية. ومثل هذه الظاهرة تتكرر كل يوم فى حياة مجتمعنا وتحتاج إلى إعادة النظر والتفكير فيها من كل أسرة لأن مسئولية الآباء نحو الأبناء أخطر بكثير مما يتصورون، وإن بناء الكيان الخلق للأبناء أهم بكثير من بناء القصور وجمع الأموال ولابد أن نعلم أن بقاء الأمم وتقدمها يكون بمقدار حرصها على الكيان الأسرى والحفاظ على أبنائها من الضياع والقلق والأمراض النفسية والخلقية.

قال أحمد شوقى رحمه الله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضًا :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

فالأمم لا ترقى بالمال والحصون ولكنها ترقى بالعلم والأخلاق، ولكى تثمر العظة يجب أن يكون الآباء قدوة حسنة ومثلاً عاليًا للأبناء.

فالأب هو عماد الأسرة والأم هى المدرسة الأولى للأبناء، وللأبناء حقوق على الآباء ليس حق توفير المعيشة الكريمة فحسب بل حق التوجيه والرعاية والتربية النفسية والخلقية لكى ينشأ المجتمع من أبناء أقوياء أصحاء، فالمجتمع الذى يريد أن يتبوأ مقعد صدق بين المجتمعات الراقية يجب أن يحرص على صحة أبنائه جسميًا وعقليًا وخلقيًا.

ذهب أحد علماء الطبيعة الفرنسيين لزيارة جامعة إكسفورد فى إنجلترا، فأخذته الدهشة لقلة ما يدرسه الطلاب فى المدارس، فسأل أستاذ الجيولوجيا الذى كان مكلفًا بمرافقته خلال مدة الزيارة إذ قال له : ما بال الشبان الإنجليز لا يتعلمون فى المدرسة إلا قليلاً من العلوم ويقضون بقية أوقاتهم فى لعبة الكروكيت والسباحة والتجديف ثم يصبحون من غير عناء رجالاً من الطراز الأول : حكامًا حاذقين وسياسيين محنكين، فأجابه الأستاذ من فوره قائلاً : لأن لهم أمهات إنجليزيات.

وفى هذه الإجابة البليغة الحكيمة ما يغنى عن الشرح والتفصيل عن أهمية دور الأم فى تربية الأبناء..

وفيما يلى بعض التوجيهات إلى الآباء:

أولا: لابد أن يعلم الآباء أن البيت بيت الأسرة هو الحرم المقدس الذى يؤوى كلا من الوالدين والأبناء ولابد أن يكون له فى قلب كل فرد من أفراد الأسرة منزلة سامية، فلا يسمح أحد الوالدين أو كليهما بأن يتحول هذا البيت إلى ناد للعب والتسلية مع الأصدقاء، أو قضاء سهرات للسمر أو الطرب مع الجيران أو الأحباب مهما كان أحد الوالدين أو كلاهما له طبيعة اجتماعية.

فالأبناء فى مرحلة الدراسة يحتاجون إلى الهدوء والراحة والاستقلال التام بمكان معيشتهم حتى يتوفر لهم الجو المناسب للحفظ والاستذكار، وألا يستقبل الآباء فى هذا البيت سوى المخلصين من الأهل والأصحاب الذين يكون من شيمهم الجد والأدب فيكونون بذلك قدوة لأبنائهم فى اختيار أصدقائهم.

ثانيًا: الأب فى البيت لابد أن يكون أبًا محترمًا قبل أن يكون أبًا مطاعًا، ولا ينكر أحد منا أن الأب هو سيد البيت، فالقانون والدين يعطيه حق الطاعة والاحترام، غير أن احترام الأبناء للآباء لابد أن يكون نابعًا من أنفسهم وليس مفروضًا عليهم، فإذا أراد الأب أن يحرص على حب أبنائه وتقديرهم له وتقديسهم لعاطفة الأبوة فلابد أن يتنازل عن بعض عاداته ويضحى ببعض ملذاته ويتخلى عن بعض أهوائه إذا كان لها تأثير ضار على الرابطة الأسرية وكيان الأسرة، أو أنها تفسد الهدوء والراحة المرغوب فيهما داخل البيت.

ثالثًا : من الملاحظ أن الآباء الذين لهم أبناء فى السنة النهائية من المرحلة الثانوية يكونون أكثر اضطرابًا وقلقًا من الأبناء أنفسهم وكأنهم هم الذين سيدخلون الامتحان فى نهاية العام أو أنهم هم الذين يستذكرون، وقد يضطرهم ذلك إلى ممارسة شتى ألوان الضغط على الأبناء لكى يتمكنوا من الاستذكار، وكما يقول بعض الآباء « إن البيت كله فى حالة طوارئ ». إذ تقوم الأم بتوفير كافة وسائل الراحة لابنها وتعطيه مزيدًا من الاهتمام والرعاية أكثر من إخوته ويحرص الأب على أن يوفر له المدرسين فى المنزل ولو كان ذلك فوق طاقته المالية، ويجلس الوالدين يوميًا مترقبين حركات الابن وسكناته حتى يطمئنان أنه يستذكر دروسه.

كل ذلك سلوك طيب إذا كان يتبع مع جميع الأبناء فى البيت بنفس الاهتمام، أما التميز الذى يحصل عليه طالب الثانوية العامة فهو أمر غير مرغوب فيه. إذ يجب أن يعلم الآباء أنه إذا تعود الطالب منذ بداية حياته التعليمية أن يستذكر دروسه أولاً بأول، وأنه يجب أن يتفوق فى دراسته فى كل مرحلة لكان ذلك الأمر هينًا فى مرحلة الثانوية العامة، لأن من شب على شىء شاب عليه. أما ذلك السلوك الخاطئ من قبل الآباء واهتمامهم الزائد بطالب الثانوية العامة إنما يدل على أنهم غير حريصين على استفادة أبنائهم من التعليم فى أى صف دراسى أو أى مرحلة تعليمية بنفس القدر من الحرص والجهد الذى يبذلونه فى الثانوية العامة. وبذلك ينتقل إلى الطالب قيم

الآباء ونظرتهم إلى التعليم والعلم بأن بذل الجهد فى التعليم يكون لهدف تحقيق مصلحة شخصية وليس التعلّم من أجل العلم أو من أجل اكتساب قيم خلقية سليمة.

رابعا : لاشك أن المستوى الاجتماعى والثقافى والاقتصادى للأسرة له أثر عميق على سلوك الأبناء وعلى نموهم الاجتماعى، ولهذا يختلف سلوك كل طالب تبعًا لاختلاف المدارج المختلفة لأسرته، ذلك لأن لكل طائفة من طوائف المجتمع أسلوبًا معينًا فى التفكير وفى الحياة، ونمطًا خاصا فى السلوك ينعكس على أبنائهم فنجد سلوك الطلاب الأغنياء يختلف عن سلوك زملائهم الفقراء. وهذا يرتبط بالمعايير الاجتماعية والقيم المرعية فى كل أسرة.

وتبعًا لنوع العلاقات التى تربط بين الطالب وأسرته تتمخض عنها شخصية سوية أو شخصية مريضة، فالطالب المدلل الذى تحقق له الأسرة كل مطالبه وتغالى فى العناية والمحافظة عليه والدفاع الدائم عنه عندما يخطئ وتغالى فى مدحه وحمايته الدائبة من الخبرات الحزينة والمواقف المؤلمة، وتسرف فى الإنفاق على ملبسه، وتقدم يد العون له فى كل صغيرة وكبيرة، كل ذلك يعوق نمو الطالب اجتماعيًا وانفعاليًا فيعجز عن الاعتماد على نفسه، وينهار أمام كل أزمة أو مشكلة تواجهه، ويشعر بالنقص عندما لا تجاب له أى رغبة فى المجتمع فيلجأ إلى شتى الطرق والوسائل الملتوية والمنحرفة لتحقيق غاياته. ولعل ظاهرة الغش فى الامتحانات هى إحدى سمات مثل هذه الشخصية غير السوية.

كما أن تعصب الأب لجيله والأفكار والعادات التى نشأ وتربى عليها وتزمته الشديد لآرائه. كل ذلك ينآى به بعيدًا عن فهم أبنائه وكسب صداقتهم، ويقيم بينه وبينهم الحواجز التى تحول بين الثقة الضرورية لتآلفهم ونموهم النمو السليم.

والأب الذى يثور لأتفه الأسباب ويزجر أبناءه فى كل وقت ويكثر عليهم بالعتاب واللوم فى كل حين، فإنه يهون على هذا الابن سماع الملامة ويثير لديه العناد ويميت قلبه، فيفقد الحساسية والحياء ولا يعبأ بالأخطاء التى يقع فيها. فلابد أن يحفظ الأب هيبة الكلام مع أبنائه فلا يوبخهم إلا قليلاً وفى الوقت المناسب ويعوّدهم على اكتشاف الأخطاء بأنفسهم حتى يقتنعوا بتعديل سلوكهم.

والأب الذى يشتهر بين الناس بالكرم وقوة الشكيمة وتقديم الخدمات والعون للآخرين، بينما يقتر على أولاده ويحرمهم من عطفه وحنانه، ويكرس كل وقته للعمل دون أن يخصص يومًا محددًا للاجتماع بأسرته لبحث مشكلاتها وتقديم النصح والإرشاد لأبنائه أو يسرى عنهم فى ذلك اليوم بقضاء وقت طيب ممتع داخل البيت أو خارجه. فإن مثل هذا الأب يباعد بينه وبين أبنائه وقد يتبعوه فى غلوائه وهم غير راضين، أو قد يثوروا عليه ولا يصدعوا لأوامره فيفقد احترامهم له ومكانته فى أسرته.

والآباء الذين لايحرصون على تقوية أواصر المحبة والصداقة والعطف والتعاون بين الأخوات، فإن ذلك يغرس بذور الأنانية والكراهية بينهم.

قال الرسول عليه الصلاة والسلام:

«علموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».

ولذا يجب على الآباء أن يسيروا فى تربية أبنائهم على قاعدة قويمة وخطة مرسومة، فإذا كانت الأسرة فى حالة ميسرة من العيش أو كثرة المال فلا يكون ذلك سببًا لتحقيق كل مطالب الأبناء حتى لا يكون الإسراف أو التبذير مفسدًا لأخلاقهم وخاصة أن كثيرًا من المطالب التى كنا نعتبرها فى فترة سابقة كماليات ينظر إليها الأبناء اليوم على أنها ضروريات. فالآباء يعانون ويشقون ويكابدون فى الحياة من أجل توفير الحياة الكريمة لأبنائهم، ولكن الأبناء سوف لا يدركون قيمة ما يملكونه إذا لم يبذلوا جهدًا فى الحصول عليه، فالطالب الغنى الذى يملك بيتًا جميلاً يكون فى نظر صديقه الفقير قصرًا بديعًا، فى حين أن هذا الطالب لا يشعر بجمال بيته أو يدرك قيمته، وهذا يؤكد المثل القائل «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى» فلابد أن يُعوّد الآباء أبناءهم الحياة الخشنة حتى يصيروا رجالاً يكابدون الحوادث ويلمسون الأخطار بأنفسهم ويتعرفون على ما حولهم ليميزوا الخبيث من الطيب، وليفرقوا بين الغث والثمين، وأن يكونوا حريصين على غرس بذور الرجولة فى نفوس أبنائهم وتكوين مبادئ الشجاعة والشهامة فى طبائعهم حتى إذا مسهم الضر أو نالهم أذى يكونون قادرين على ضبط أنفسهم ويملكون عواطفهم، قادرين على تذليل العقبات، فالأبناء قادمون على زمان غير زمن الآباء،

أما إن تعودوا الحياة السهلة فسوف يجابهون كثيرًا من المصاعب التى تخذلهم عدم القدرة على مواجهتها، لعدم تمرسهم لمثل هذه المصاعب. فإذا كان الأب ينفق اليوم على ابنه أكثر مما سوف يحصل عليه الابن من مرتب شهرى بعد التخرج من الجامعة، فلابد أن يدرك هذا الأب أنه يضر ابنه أكثر مما ينفعه.

خامسًا : لابد أن يعرف الوالدان أن الهموم والقلق والمشاغل تعوق الحفظ والاستذكار.

يجب على الوالدين أن يتخيروا أحسن ما لديهم من الألفاظ والعبارات التى يتكلمون بها أمام الأبناء ويعنوا بألا يقع نظر أبنائهم إلا على النماذج الحسنة والمثل الصالحة، كما يجب على الوالدين أن يجتنبوا المنازعات والمخاصمات الزوجية أمام الأبناء، فإنها تجلب الهم والشقاء والقلق وعدم الأمن للأبناء، فى حين أن الوالدين قد ينسيان كل ما وقع بينهما لكثرة مشاغلهما، ولأن الحياة الزوجية لا تخلو من ذلك. ولكن مثل هذه المشاحنات تترك أثرًا سيئًا فى نفوس الأبناء مدى الحياة. وأحيانًا يرتكب الوالدان بعض الهفوات أو الأخطاء دون قصد أمام الأبناء، كأن يذكروا سيرة بعض الناس بشىء من الذم والقدح. فإن ذلك يغرس فى نفوس الأبناء أقبح العادات كالغيبة والنميمة والحقد والحسد وما إلى ذلك. فيجب أن يمتنع الآباء عن مثل هذه الهفوات لتكون بيئة الأسرة بيئة صالحة لتنشئة الأبناء تنشئة سليمة. وعلى الآباء أن يكونوا حريصين أن يبثوا فى نفوس الأبناء

بعض الفضائل الخلقية التى تكون بمثابة الضابط الذى ينظم النفس فيمنعها من السقوط فى الشهوات والأهواء. وإذا حرص الأباء على تربية الأبناء تربية دينية كاملة فإن ذلك أفضل وسيلة لتجنب الرذيلة ولكى ينجح الأب فى تربية أبنائه تربية دينية فلابد أن يكون هو متمسكًا بالدين عاملاً به حتى يكون له تأثير طيب ونفوذ حسن على أبنائه، إذ أن إهمال التربية الدينية فى البيت يؤدى إلى تدهور الأخلاق والانحراف عن الطريق المستقيم إن لم يكن عن قصد فيكون عن جهل.

توجيهات تربوية للأبناء

يظن كثير من الناس أن الغنى والسعادة أمران متلازمان لا يفترقان، وأن الهناءة تنحصر فى إشباع الرغبات المادية وإرضاء الشهوات الحسية من سكنى قصور شاهقة واقتناء أثاث فاخر والتمتع بالصحة والجمال وغير ذلك، وهم فى ذلك واهمون، فقد يكون فى القصور الشاهقة من ضروب الشقاء وأصناف البلايا ما لا يكون فى أكواخ الفقراء والمعوزين.

قال أحد الرهبان يومًا لـ «جان جاك روسو» وهو فتى صغير:

«لو تكاشف الناس فاطلع كل إنسان على قلب غيره وقرأ ضميره لعلم أن الذين يرغبون فى النزول أكثر من الذين يرغبون فى الصعود».

ليس منا من ينكر أن السعادة فى المال، قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ غير أن تلك السعادة المادية الزائلة فانية، فالغنى والثروة لا تدوم كما أن الفقر لا يستمر، والصحة قد تذبل والجمال قد يزول بزوال الشباب ولا يبقى للإنسان سوى خلقه وسيرته وفضائله وجمال عقله. فليس هناك أبقى وأثبت سعادة للإنسان من السعادة التى يحصل عليها بالعلم وتزكية النفس بالعلوم وتكميلها بالفضائل وتقوية الوجدان بالصبر والحلم والإرادة والاستبصار.

ومن العبث والخطل وفساد الرأى أن يحاول الإنسان تلمس تلك السعادة الحقيقية من طريق غير طريق العقل وترقية الفكر وتهذيب النفس وإعلاء الشهوات والأهواء وسبيل ذلك التعليم والتأديب.

والارتباط بين العقل والقلب أو الوجدان هو ارتباط بين التعليم والتربية، وسبق أن ذكرنا أن التعليم بدون تربية هو تعليم ناقص لأن بالعلم والحلم تكتمل الفضائل.

سئل كسرى (ملك فارس) : «أى الملوك أفضل؟ فقال : الذى إذا حادثته وجدته عليمًا، وإذا خبرته وجدته حكيمًا، وإذا غضب كان حليمًا، وإذا ظفر كان كريمًا وإذا وعد وفى وإن كان الوعد عظيمًا».

وحكى الأصمعى رحمه الله أن أعرابيًا قال لابنه :

«يا بنى الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب، فالعاقل لا يستغنى وإن صحت غريزته عن الأدب

المخرج زهرته، كما لا تستغنى الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها».

وقال بعض البلغاء :

«الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل أصله».

وإذا انشغلت الأم عن تأديب ابنها، وإذا فشلت المدرسة فى تربية طلاب العلم بها، فإن الطالب ليس أمامه من طريق إلا أن يربى نفسه بنفسه ويهذب من أخلاقه من خلال مدرسة الحياة. ولعله يجد فى كتب السلف الصالح وكتب الدين خير معين له على الوصول إلى طريق الخير والسعادة.

وقد تجد أيها الطالب فى بعض التوجيهات التربوية التالية ما يعينك على تكملة بعض من شخصيتك، أو تجد فيها الإجابة عن بعض تساؤلاتك، أو تتخذ منها نصيحة تنير لك طريق حياتك أو تجد فيها حلاً لبعض المشكلات التربوية التى تواجهك.

المشكلات التربوية

أولا: الاختيار السليم للتخصص الدراسى أو الكلية الجامعية :

لابد أن يحرص الطالب على أن يكون للميول والاستعدادات الطبيعية القول الفصل فى اختيار الكلية الجامعية التى سوف يلتحق

بها حتى ولو حصل على الـدرجات النهـائية فى امتحـان الشـهادة الثانوية، فلا يستمر اختياره أو رأيه فى تحـديد مسـتقبله المهـنى أو الوظيفى ممن يحيطون به من الأهل أو الكبار أو الأصـدقاء، فـالطالب أعلم بنفسه وبقدراته، ومما لاشك فيـه أن الاختيـار السـليم لنـوع الدراسة المناسب هـو أجلـب للسـعادة وأيسر على النفس وقـت الاستذكار، كما أنه يحقق القدرة على العطاء والكفاية فى العمل بعـد الخروج إلى الحياة العملية.

وإذا كان الطالب غير قادر على تعرف استعداداته وميـوله فـإننا نقدم له عددًا من التصنيفات للاستعدادات والقدرات العقلية ليستعين بها ويتعرف منها على نوعية قدراته واسـتعداداته العقليـة، وبـالإضافة إلى ذلك فإننا نقدم بعض المهن والدراسات المختلفـة الـتى تقـابل كل قدرة عقلية حتى يسهل على الطالب أيضًا تحديد الكلية الـتى يـرغب فى الالتحاق بها أو نوع المهنة التى يمكن أن يعمل فيها. وقد اسـتعنا فى هذا التصنيف بتصنيفات «وليامسون» للمهن المختلفة والاستعدادات والقدرات الملائمة لها، إذ أن هذا التصنيف قـد حظى بـاهتمام عـدد كبير من الموجهين وهو مأخوذ من كتابه «الطلاب والمهن».

وفيما يلى هذه التصنيفات:

١ - **القدرة اللفظية:** وتظهر فى إمكانية الطالب تعلم اللغة القومية واللغات الأجنبية بسهولة وتحصـيل درجـات عـالية فيهـا، كما تظهر فى قدرته على استخدام الألفاظ والعبارات المنمقة للتأثير بها

على فكر وعقول الآخرين. وتناسب هذه القدرة عددًا من المهن مثل التدريس - المحاماة - الدعاية والإعلان - التأليف - العلاقات العامة.

٢ - **القدرة العلمية**: وتتضح فى الميل للعلوم الطبيعية، وفهم المبادئ والنظريات العلمية والتفكير الاستقرائى والرغبة فى الابتكار، وتقدير المستكشفين والمخترعين، وإدراك العلاقة بين القاعدة أو القانون العلمى وبين الأمثلة المطبقة له، ويناسب هذه القدرة عدة تخصصات مثل:

التخصص فى الطبيعة أو الكيمياء - الطب - الجيولوجيا - علم النفس.

٣ - **القدرة الحسابية أو العددية والرياضية**: وتتضح فى معالجة الرموز والأشكال الهندسية بسهولة، وإدراك العلاقات العددية، ويناسب هذه القدرة - تدريس الرياضيات - أعمال المحاسبة ومسك الدفاتر - الهندسة - التجارة.

٤ - **القدرة الميكانيكية والإنشائية**: وتتضح فى إدراك العلاقات الميكانيكية والرغبة فى الحل والتركيب لبعض الأجهزة والآلات، المهارة فى استخدام الآلات، الاهتمام بصيانة الأجهزة المنزلية والقدرة على إصلاح ما يعطل منها، الحركات التوافقية فى استخدام الأيدى والأصابع فى المهارات العملية. ويناسب هذه القدرة مجالات الهندسة - العمارة - تصميم الآلات - الطباعة - الجراحة - طب الأسنان - الفنون التشكيلية - الميكانيكا.

٥ - **القدرة الفنية :** وتتمثل فى التفوق الفنى والجمالى للأشكال والألوان والميل إلى الأعمال اليدوية الإبداعية، والحساسية المفرطة للأشكال والمناظر والأصوات والقدرة على التمييز بينها. ويناسب هذه القدرة جميع الأعمال الفنية مثل الفنون التشكيلية من رسم ونحت وتصوير، وفن العمارة والتصميمات الإنشائية (الهندسة) والموسيقى، والتمثيل والتدريس.

٦ - **القدرة الإدارية والقيادية :** وتظهر فى رغبة الفرد فى الاعتماد على النفس، والمبادأة والرغبة فى السيطرة على الآخرين، والحرص على كسب رضاء الغير وتقديم العون والمساعدة للزملاء بهدف الظهور بينهم - والحرص على تفويض المعلم له بالقيام ببعض الأعمال داخل الفصل كأن يحل محله وقت انشغاله فى شرح بعض المسائل أو ضبط الفصل.

ويناسب هذه القدرة جميع الأعمال الإدارية، والتجارة، والتدريس وبعض الوظائف الأخرى مثل الضابط أو قائد الطائرة أو السفينة البحرية.

٧ - **القدرة الاجتماعية :** وتتمثل فى القدرة على فهم الناس والقدرة على التعامل معهم والتكييف مع ظروفهم، والسلوك الحكيم تجاه الناس وتكوين علاقات مع الآخرين بسهولة والمبادأة بتقديم الخدمات للآخرين، والحرص على حضور المناسبات الاجتماعية كأعياد الميلاد وحفلات الزواج

وغيرها والمشاركة الدائمة فى الرحلات المدرسية والاهتمام بدعوة الأصدقاء وتبادل الزيارات، ووجود أصدقاء فى كل مكان يذهب إليه الفرد - والتفوق فى دراسة الجغرافيا والتاريخ.

ويناسب هذه القدرة التدريس - العلاقات العامة - الأعمال السياسية - الخدمات الاجتماعية - عمليات البيع والتسويق - الصحافة.

وجدير بالذكر أن مشكلة تحديد نوع الدراسة أو الكلية الجامعية التى سوف يلتحق بها الطالب، أنها ليست مسئولية الطالب فقط نحو معرفته لإمكانياته الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية حتى يستطيع أن يوفق بين استعداداته وبين نوع الدراسة أو العمل المناسب لها، بل إن مثل هذه المشكلة تحتاج إلى جهود وزارة التربية والتعليم فى تعديل نظام الامتحانات وشروط القبول بالكليات الجامعية.

وقد يكون لوزارة التربية والتعليم دور هام فى حل المشكلة التى تواجه الطلاب فى المرحلة الثانوية عند اختيارهم إحدى الشعب العلمية الثلاث (علوم - رياضيات - آداب) بحيث يكون اختيار الطالب لإحدى الشعب مبنيًا على أساس تقويم سليم لقدراته. وكذلك اختيار الكلية الجامعية التى تتفق مع استعدادات الطالب وميوله بعد اجتيازه امتحان الشهادة الثانوية العامة بنجاح.

وأنجع الحلول لمثل هذه المشكلة هو ألا يلجأ المعلمون فى المرحلة الثانوية إلى وضع اختبارات تقيس القدرة على الحفظ والتذكر

والتحصيل فقط، بل لابد أن يتدرب المعلمون على وضع أسئلة موضوعية متنوعة تقيس كذلك الفهم والتفكير والقدرات الخاصة لدى الطلاب. ولاشك أن وجود سجل لكل تلميذ فى المدرسة يدوّن فيه نتائج الامتحانات الشهرية والفترية ونهاية العام، فإن هذه المعلومات المدونة فى سجل التلميذ تكشف عن كثير من نواحى شخصيته ونواحى القوة والقصور والتقدم أو التأخر فى دراساته، وبذلك فإن سجل التلميذ هو وسيلة للحكم على مستواه الدراسى وقدراته العلمية والأدبية والفنية، ومن ثم يسهل توجيه الطالب لنوع الدراسة والتخصص الذى يناسبه فى الثانوية العامة.

ومن ناحية أخرى فإن الالتحاق بالكليات الجامعية يجب ألا يعتمد أساسًا على شرط مجموع الدرجات فى امتحان الثانوية العامة بل يجب على مكتب التنسيق أن يأخذ المواهب والقدرات والاستعدادات فى الاعتبار عند تحديد الكلية التى تناسب الطالب. ومعنى ذلك أنه يجب وضع اختبارات فى القدرات لجميع طلاب الثانوية العامة قبل التحاق الطالب بالكلية، ومن المستحسن أن يجرى اختبار القدرات ضمن امتحان الشهادة الثانوية ويكون اختبارًا تحريريًا فى ورقة منفصلة حتى لا تتدخل الاعتبارات الشخصية والوساطة إذا أجرى اختبار القدرات فى الجامعة، على أن تخصص أسئلة فى القدرات الشخصية والفنية لكل شعبة على حدة، وتدور الأسئلة حول المجالات العلمية والفنية التى يمكن للطالب التخصص فيها فى الجامعة

وتقسم الأسئلة فى كل شعبة إلى عدد من المحاور بحيث تدور كل مجموعة من الأسئلة حول محور معين.

فتعد مثلاً لشعبة العلوم ورقة اختبار للقدرات تدور حول بعض المعلومات الطبية بفروعها (بشرى - بيطرى - أسنان - صيدلة) وكذلك بعض المعلومات فى العلوم الطبيعية، وبعضها فى العلوم التجارية، والعلوم الفنية والتربوية وهكذا بالنسبة لكل شعبة، ويعطى لكل محور درجة منفصلة بحيث يمكن تحديد قدرات الطالب وفقًا لترتيب الدرجات فى كل محور. دون أن يعطى مجموعًا كليًا لهذه المحاور. وترفق نتيجة اختبار المعلومات لكل طالب ضمن درجاته فى استمارة النجاح فى امتحان الثانوية العامة.

توجيهات نفسية وخلقية

إن توجيه الطالب توجيهًا نفسيًا وخلقيًا صحيحًا يساعده على فهم انفعالاته وطرق رعايتها حتى لا يضل قصد السبيل، كما أن إهمال الرعاية النفسية تؤدى إلى زيادة التوتر وإعاقة مظاهر النمو السوى للشخصية، فتتأثر بذلك صحة الطالب البدنية والنفسية وينعكس أثر ذلك على حياته التعليمية ومستقبله الدراسى.

وفيما يلى بعض الآداب الخلقية والنفسية التى يجب أن يتحلى بها الطالب :

١ - **حسن الخلق :** يجب على الطالب أن يكون بين زملائه وأصدقائه سهل المعاشرة، لين الجانب، بشوش الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة.

قال بعض البلغاء :

« الحسن الخلق من نفسه فى راحة، والناس منه فى سلامة، والسيئ الخلق الناس منه فى بلاء وهو من نفسه فى عناء ».

٢ - **الثقة بالنفس :** هى خير وسيلة للتغلب على المخاوف والقلق التى تنشأ من شعور الطالب بالضعف والعجز تجاه المشكلات التعليمية والأسرية، غير أن الفهم الصحيح للموقف وللجو الانفعالى المحيط بالطالب يساعده كثيرا على بناء ثقته بنفسه، وتزداد هذه الثقة كلما واجه مشكلة وتمكن بإرادته من السيطرة عليها، ويساعده النجاح فى تخطى العقبات التى تواجه فى المستقبل على التخلص من عجزه وفشله، غير أن الثقة بالنفس لها حدود، فإن زادت على حدها أصبحت غرورا، فقد يعجب الفرد بنفسه إذا جل قدره بين إخوانه فيتكبر عليهم، وكل من العجب والكبر غير مرغوب فيهما، لأن العجب يؤدى إلى الحماقة. ويخفى المحاسن، ويظهر المساوئ ويصد عن الفضائل.

قال عليه الصلاة والسلام :

« إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » والكبر يثير البغض والكراهية من الآخرين، وقد وصف أحد الشعراء الإنسان فقال :

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب

لو فكر الناس فيما فى بطونهم ... ما استشعر الكبر شُبّان ولا شيب

٣ - **الحرص على روح المرح والفكاهة :** رب فكاهة عابرة فى موقف عصيب خير علاج للتوتر النفسى الذى يصاحب الإنسان فى

الأزمات، والطالب الذى يرى الجوانب السارة فى حياته ويدركها إدراكًا صحيحًا ويستمتع بها فى حينها، فإنه ينآى بنفسه بعيدًا عما يعوق قدرته على استذكار دروسه، وينتصر بمرحه على همومه وأحزانه ومشاكله.

وغالبًا ما يعقبها اتزان هادئ جميل وراحة ممتعة للنفس، على الا تكون الفكاهة والمرح عادة فتشغل الطالب عن النظر فى الأمور المهمة، كما أن من يكثر من الفكاهة يفقد هيبته ووقاره.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه ».

وقال عمر بن الخطاب:

« التبسم دعابة، وهذا أبلغ فى الإيناس من الضحك، الذى قد يكون استهزاء وتعجبًا.. وهذا رسول الله وهو أملك الخلق لنفسه، قد تبسم حتى بدت نواجذه.. ».

٤ - **جهاد النفس:** إن أكبر وأشق جهاد فى الدنيا هو جهاد النفس، فالنفس أمارة بالسوء، حريصة على إشباع الشهوات والملذات، لذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام عقب الفراغ من غزوة بدر:

« رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » أى جهاد النفس.

وجهاد النفس يكون بالتهذيب والتأديب واستمرار التقويم، أى محاسبة النفس على كل أفعالها، لأن النفس ربما تجمح عن الفضيلة وهى واعية، وربما تنفر عن الأدب وهى راضية، لأنها غير مطبوعة عليه وغير ملائمة له،

وقد قيل «ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه». وإذا شرفت النفس بالأدب ورغبت فى الفضيلة وعصت الرذيلة كان ذلك انتصارًا للعقل والروح.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

«طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء» إذ أن شهوة الطعام تجلب المرض وتفسد الصحة وتعمى عن الفطنة، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إياكم والبطنة فإنها تعمى عن الفطنة»، وشهوة الهوى والغرام تشغل البال وتورد السقم والسهر وسوء الحال، وقيل فى منثور الحكم:

«من أطاع هواه أعطى عدوه مناه». وشهوة الجنس تجعل الإنسان قبيحًا فى منظره، سفيهًا فى تصرفه، شبيهًا بالبهائم فى أفعاله، وتفقد الإنسان هيبته واتزانه.

قال بعض العلماء:

«ركّب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركّب البهائم من شهوة بلا عقل وركّب ابن آدم من كليهما، فمن غلّب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلّب شهوته على عقله فهو شر من البهائم».

وعلى كل طالب علم أن يتصفح فى ليله ما صدر عنه من أفعال فى نهاره، فإن كانت أفعاله طيبة وسلوكه حميد، يمضى فيها ويشكر ربه، وإن كانت بعض أفعاله مذمومة فليستدرك الخطأ ويتراجع عنه، ويكون قوى الإرادة حازم الرأى فى محاسبة النفس.

قال الشاعر:

وما يردع النفس اللجوج عن الهوى ... من الناس إلا حازم الرأى كامل

وقال آخر :

أتجعل العقل أسير الهوى   وإنما العقل عليه أمير

٥ - **الاستمتاع الفنى :** إن الاستمتاع بالجمال فى أى صورة من صوره : فى مناظر الطبيعة أو الشعر أو الأدب أو الرسم أو التصوير أو الموسيقى. هو خير وسيلة لتنشيط الذهن وإدخال المرح والسرور والغبطة على النفس، وحاجة طالب العلم إلى هذه الفنون لا تقل أهمية عن حاجته إلى الطعام والشراب، لأنها تساعده كثيرًا على إزالة الهموم والقلق والتعب وتحببه فى الاستذكار والعمل وتخفف عنه عبء الحياة، فكلما شعر الطالب بالملل والسآمة من الحفظ والمذاكرة، عليه أن يأخذ قليلاً من الراحة فى سماع قطعة موسيقية خفيفة أو يخرج إلى الطبيعة ليستمتع بجمالها فيجدد نشاطه ليعاود المذاكرة.

٦ - **طاعة الوالدين :** لعل أول وأهم توجيه خلق لكل طالب هو حرصه على طاعة والديه وخاصة الأم، فالأمهات أكثر إشفاقًا على الأبناء وأوفر حبًّا لهم، لما قاسين فى الحمل والولادة وما عانين فى التربية فى التنشئة الأولى، ولذا فالأمهات أرق قلوبًا، وألين نفوسًا. ولذا وجب التعطف عليهن كثيرًا جزاء لفعلهن ولو أن الله قد جمع بين الوالدين فى توصية الأبناء بهما فى قوله تعالى :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حُسنًا ﴾.

وقوله ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرًا ﴾.

فهرس الكتاب

الصفحة

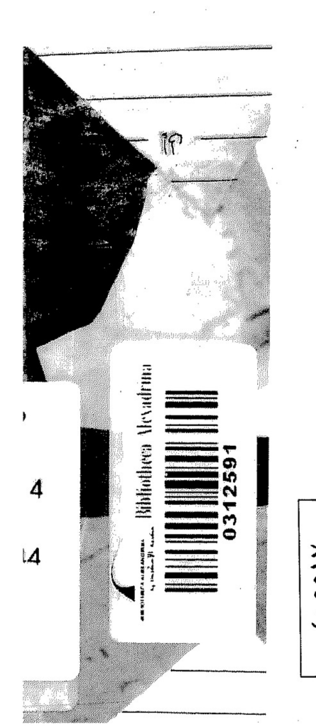
رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٣٨٨٦
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4056 – ٧	ISBN

١ / ٩٣ / ٣٦
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تبقى « الثانوية العامة » بشكلها الحالى مشكلة تواجه الطلاب وتهدد كل بيت مصرى .. وتترك الآباء يعيشون فى رعب ... وتستنزف القدرات المالية لكل أسرة . والسبب .. أنها فقط مفترق الطرق .. الذى يحدد مسار مستقبل الطلاب .

وطالب الثانوية العامة يحتاج إلى النصائح السديدة التى تساعده على اجتياز هذه الأزمة ..

وهذا الكتاب يقدم لك عزيزى الطالب النصائح التى تساعدك على النجاح والتفوق .



٤٠٠٥١٧


دار المعارف